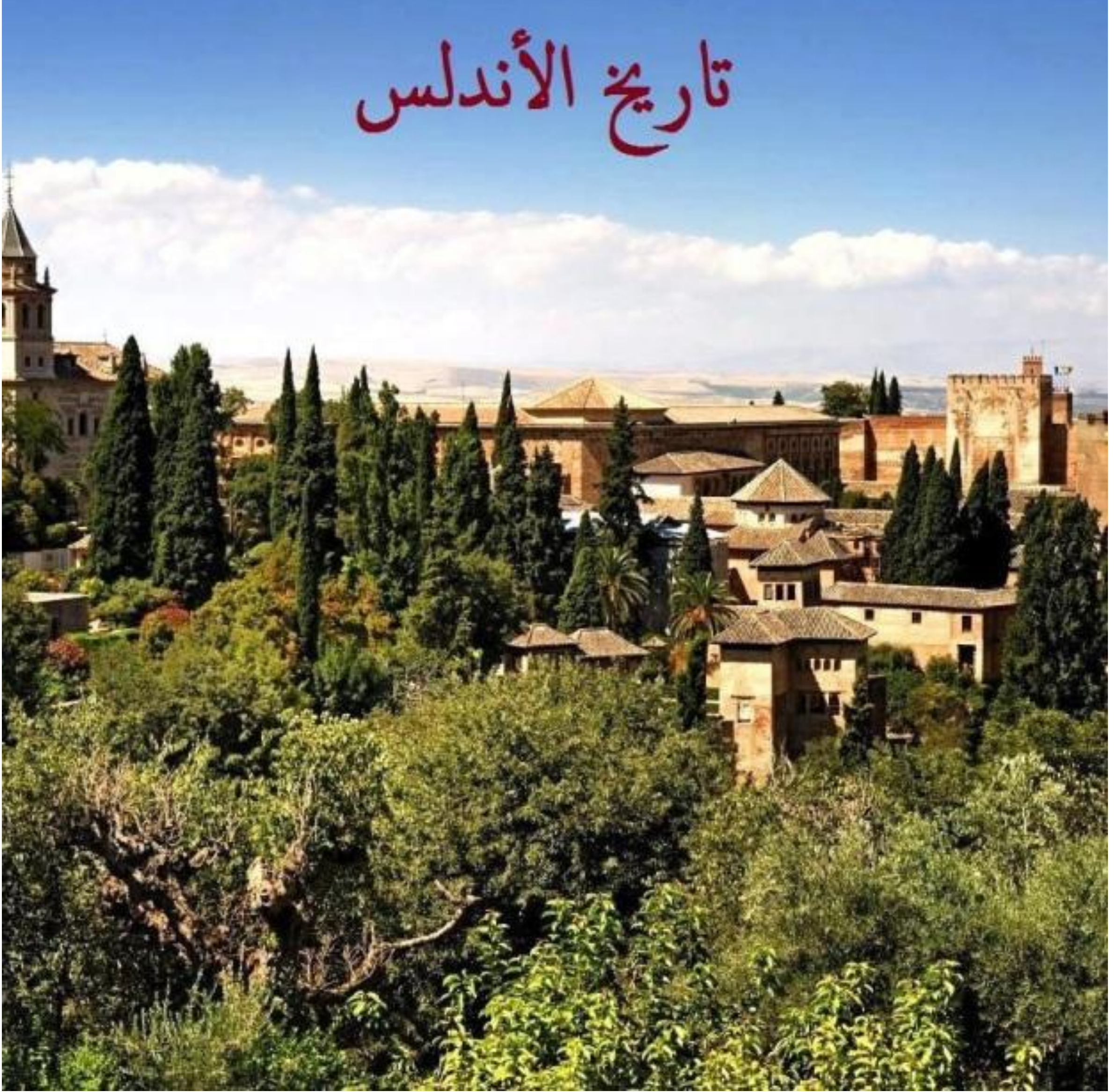

تاريخ الأندلس

تاريخ الأندلس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لله سنن ثابتة في خلقة ، فنرى في التاريخ أن عوامل قيام وأسباب سقوط الامم والممالك متشابهة ، مع اختلاف الزمان والمكان والاشخاص والاحداث ، وليس من المقبول أن يُهمل المسلمون تاريخهم ، ففي خضم ما نعيشه من أزمات كثيرة تعرضنا مثلها في التاريخ يجب أن نبحث وننقب في صفحات التاريخ عن حلول لمثل هذه المشكلات المشكلات ، حيث قال تعالى "فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "

وإن تاريخ الأندلس خاصة شمل اكثر من ثمانمائة سنة شمل فيها كل اسباب قيام الأمم وسقوطها ، وكل عوامل النصر والهزيمة ، وكل اسس النجاح والفشل ...

إن هذا البحث هو محاولة مني لاستقراء التاريخ من جديد باسلوب سهل وبسيط وبصورة مبسطة حتى يسهل على القارئ فهمها واستيعابها .

أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من ساهم في بناء هذا العمل واخراجه بهذه الصورة سواء من قريب أو من بعيد ، شكرًا لكم جميعًا ..

المصادر:

كتاب : قصة الأندلس – راغب السرجاني

كتاب : الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي – راغب السرجاني

موقع قصة الإسلام

ويكيبيديا الموسوعة الحرة

إعداد : مصطفى رمضان

فتح الأندلس (92:95هـ)

بلاد الاندلس هي اليوم دولتا اسبانيا والبرتغال او ما يسمى شبه الجزيرة الايبيرية ومساحتها تبلغ ستمائة الف كيلو متر تقريبًا ويفصلها عن فرنسا شمالا جبال البرينيه ، سميت بالاندلس لان هناك قبائل كانت تسمى بالفندال او الوندال هجمت عليها وعاشت فيها فسميت بفانداليسيا ومنها الى اندوليسيا ومنها الى الاندلس ، وبعد ان استتب الامر للمسلمين في شمال افريقيا كان امام المسلمون خيار من اثنين ، اما ان يتجهوا شمالاً ليفتحوا بلاد الاندلس واما ان يتجهوا جنوبًا حيث صحاري افريقيا الشاسعة ، ولم يكن هدف المسلمين هو الاراضي الشاسعة بل كانت الدعوة للاسلام ونشره في بلاد لم يدخلها الاسلام بعد هو هدفها فاتجهت الفتوحات صوب الاندلس لتصل دعوة الله للجميع، ثم ان اهل الاندلس الاصليين قد عانوا من ظلم القوط حتى انهم ارسلوا وفدا ليقابل طارق بن زياد يحثونه على فتح الاندلس وتخليصهم من ظلم القوط ، فعزم طارق بن زياد على فتح بلاد الاندلس وتخليص اهلها من ظلم القوط ، كان فتح الاندلس في عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك على يد قائده موسى بن نصير ، وقد دخل الاسلام بلاد الشمال الافريقي قبل فتح الاندلس بنحو سبعين سنة وكانت تسكن هذا الاقليم قبائل الامازيغ (البربر) التي ارتدت عن الاسلام اكثر من مرة فدارت حروب بينها وبين المسلمين انتهت باستقرار الاسلام في هذا الاقليم اواخر عام 85 هـ على يد موسى بن نصير ، ولم يكن موسى بن نصير اول من فكر في فتح الاندلس فقد كانت فكرة قديمة من ايام عثمان بن عفان لكن المسلمين لم يستطيعوا ان يصلوا للاندلس الا في عهد بني امية ولكن واجهت موسى بن نصير عدة عقبات منها ، قلة السفن ، وجود جزر البليار النصرانية في ظهره ، وجود ميناء سبتة في ايد النصارى ، وكثرة عدد النصارى بالنسبة للمسلمين ، وكون الاندلس ارض مجهولة بالنسبة للمسلمين ، وقد تغلب موسى بن نصير على هذه العقبات ببناء مواني وانشاء السفن ، تعليم البربر تعاليم الاسلام ، وتولية طارق ابن زياد على الجيش لما اظهره من كفاءة وقدرته على فهم وقيادة قومه ، ثم فتح جزيرة البليار وضمها الى املاك المسلمين ، ولكن تبقي مشكلة سبتة عائقا امام تقدمه للاندلس وكان هناك توتر بين يوليان حاكم سبتة ولذريق حاكم الاندلس حيث ان لذريق اغتصب ابنة يوليان فاقسم يوليان ان ينال منه ولم يجد امامه الا مساعدة المسلمين وان يقدم لهم بعض التسهيلات ؛ فارسل يوليان برسل الى طارق بن زياد ليعرض عليه ان يعطيهم سبتة وان يمدهم بالمعلومات الكافية عن الاندلس في مقابل ضيعات واملاك غيطشة التي صادرها لذريق ، وكان غيطشة ملك اسبانيا ، وخُلع غيطشة من على العرش إثر ثورة قام بها انصار لذريق ، وفر غيطشة وقام عند يوليان حاكم سبتة الذي كان لا يزال على ولائه للملك غيطشة ، وقد وافق الخليفة الاموي بفتح الاندلس بشرط ان يرسل سرية استكشافية للاندلس ، فما ادراه ربما تكون المعلومات اللي اعطاها له يوليان غير صحيحة فجهز سرية من خمسمائة رجل على رأسهم طريف بن مالك ثم عاد بعد انتهائه منها الى موسى بن نصير وشرح له ما رآه ، فجهز نحو سبعة الاف فارس وبدأ بهم الفتح الاسلامي للاندلس رغم الاعداد الضخمة للنصارى هناك .

وبعد عام من الحملة الاستطلاعية التي قادها طريف بن مالك وبعد ان انتهى موسى بن نصير من وضع خطة الفتح في شعبان 92 هـ ، تحرك هذا الجيش المكون من سبعة آلاف فارس وعلى راسه القائد طارق بن زياد ، تحرك الجيش الاسلامي وعبر المضيق ونزل عند جبل لا يزالا يعرفا حتى الان بجبل طارق ومضيق جبل طارق ، وهناك قابل حامية من النصارى وعرض عليهم الدخول في الاسلام ويكون لهم وعليهم ما للمسلمين او يدفعون الجزية او القتال ، لكن هذه الحامية اخذتها العزة وابت إلا القتال فكانت الحرب سجالا بين الفريقين انتصر فيها طارق بن زياد فارسل زعيم تلك الحامية وكان اسمه تُدمير رسالة عاجلة الى لُذريق يطلب منه النجدة ، وكان في نظرهم امر المسلمين غريب لان الفاتح من وجهة نظرهم تقتصر مهمته على السلب والنهب والذبح والقتل ، لكن ان يلاقوا اناسا يعرضون عليهم الدخول في دينهم او دفع الجزية فكان امرا غريبا عليهم ، فارسل لُذريق قوة عسكرية بقيادة بنشيو للتصدي لهم ووقع القتال بالقرب من الجزيرة الخضراء وهُزموا وقتل قائدهم بنشيو .

وحين وصلت الانباء الى لُذريق جمع جيشا قوامة مائة الف فارس يقودها بنفسه بينما كان عدد المسلمين سبعة الاف فارس ، فارسل طارق بن زياد الى موسى بن نصير يستنجده فبعث اليه طريف بن مالك بخمسة الاف اخرين من الرجَّالة ، فالتقى الجيشان في وادي برباط ، بدأت معركة وادي برباط92هـ الغير متكافئة ظاهريا واستمرت لمدة ثمانية ايام انتهت بنصر مؤزر للمسلمين ، اما لُذريق فقيل انه قتل وقيل ايضا انه فر الى الشمال ، فطوت بذلك الاندلس صفحة من صفحات الظلم والجهل والاستبداد وبدأت صفحة جديدة من صفحات الرقي والتحضر التي لم تشهدها البلاد من قبل ، وبعد النصر الكبير في وادي برباط تدفق الناس من المغرب والشمال الافريقي الى جيش طارق فتضخم الجيش الى حد ما يصعب تقديره ، ورأى طارق ان هذا الوقت هو افضل الفرص لاستكمال الفتح باقل خسائر بسبب زيادة عدد المسلمين وضعف الروح المعنوية للنصارى وخصوصا بعد قتل او هرب قائدهم لُذريق ، فاستكمل طارق بن زياد الفتح في انحاء الجزيرة وكانت المدن تفتح له واحدة تلو الاخرى بدون خسائر تذكر حتى وصل الى طليطلة وكان قد اوصى موسى بن نصير طارق بالا يتجاوز في الفتح قرطبة ولا يسرع في فتح العاصمة طليطلة لكن طارق وجد الطريق مفتوح امامه وليس فيه صعوبات تذكر ففتحها ولم يكتفي بفتحها بل واصل الزحف شمالا حتى وصل الى خليج بسكونية على المحيط الاطلسي وكانت هذه هي نهاية فتوحاته ، بدأ موسى يعد العدة لامداد طارق بن زياد بعد ان انطلق الى هذه الاماكن البعيدة الغائرة وسط الاندلس فجهز من المسلمين ثمانية عشر الفا جاءوا من الشام واليمن والعراق نصرة ومددا لطارق بن زياد ، ثم قدم موسى بن نصير للاندلس وسلك الجيش نحو المدن التي لم يفتحها طارق وفتحها مدينة تلو اخرى ، وكان عمره خمس وسبعون سنة ! ، ولم يكتفي بهذا بل ارسل ابنه عبد العزيز ليفتح مناطق اوسع ناحية الغرب حتى انه في فترات معدودة فتح كل غرب الاندلس ، والتقى موسى بن نصير بطارق بن زياد في طليطلة وعنفه على معصيته لأوامره ، لكنه كان تعنيفا سريعا ، ولا نشك انه كان لقاء حارا بين بطلين افترقا منذ سنتين كاملتين ، وبعد اللقاء اتحدا معا لاستكمال عملية الفتح حتى تم الانتهاء من فتح كل بلاد الاندلس سنة 95هـ الا منطقة واحدة تسمى صخرة بلاي ، لكن بعد كل هذه الفتوحات امر الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك كلا من طارق بن زياد وموسى بن نصير بالا يستكملا الفتح ويعودا الى دمشق ؛ لانه راى ان المسلمين قد توغلوا في كثير من بلاد الاندلس فخشى ان يلتف النصارى حولهم من جديد فهم مهما بلغوا من قوة فهم بعيدون عن مصدر امدادهم ، ثانيا : ان الخليفة كان يعلم برغبة موسى بن نصير في فتح كل بلاد اوروبا حتى يصل الى القسطنطينية ، وما لبث ان مات الوليد بن عبد الملك وتولى الخلافة من بعده اخوه سليمان بن عبد الملك ، رحل موسى وطارق الى دمشق بعدما وصلا بالفتوحات الى غرب فرنسا الا ان هناك منطقة صغيرة جدا في اقصى الشمال الغربي من الاندلس تسمى بصخرة بلاي لم تفتح بعد ، ولم يخطر ببال احد ان تكون هذه المنطقة نواة الممالك النصرانية التي ستنشأ فيما بعد وستكون صاحبة اليد الطولى في سقوط الاندلس بعد ذلك بقرون . .. وفي عام 97هـ كان سليمان بن عبد الملك ذاهبا للحج ، فما كان من موسى بن نصير الا ان رافق سليمان بن عبد الملك في طريقه الى الحج ، وفي طريقه الى هناك قال موسى بن نصير " اللهم ان كنت تريد لي الحياة فأعدني الى ارض الجهاد ، وامتني على الشهادة ، وان كنت تريد لي غير ذلك فأمتني في مدينة رسول الله " ، ووصل الى الحج ، وبعد عودته مات في مدينة رسول الله ، ثم دفن مع الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، اما رفيق الدرب طارق بن زياد فقد انقطعت اخباره كُليةً بعد رحيله الى دمشق ، ولا احد يدري هل عاد مرة اخرى الى الاندلس ام بقي في دمشق ؟!

عهد الولاة (95:138هـ)

بعد انتهاء عهد الفتح يبدأ عهد جديد في الاندلس يسمى عهد الولاة ويعني ان حُكم الاندلس كان يتولاه رجل يتبع الحاكم العام للمسلمين ، وهو الخليفة الاموي في دمشق ، واستمر من سنة 95هـ الى 138هـ ، وكان اول الولاة في الاندلس هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ويمكن تقسيم عهد الولاة بحسب الادارة وطريقة الحكم الى فترتين ، فترة القوة (95:123هـ) ، والفترة الثانية فترة الضعف (123:138هـ)

اولا عهد القوة : وتميزت هذه الفترة بعدة امور منها ، 1. نشر الاسلام في الاندلس ونشر تعاليمه بين الناس فوجد الاسبان في الاسلام دين شامل متكامل فدخلوا فيه افواجا ، 2. نشأة جيل المولدين . وهم ابناء الذين اسلموا من اهل البلاد الاصليين حيث كان الاب عربيا او بربريا والام اندلسية ، 3. الغاء الطبقية ونشر الحرية العقائدية . حيث تركوا للنصارى كنائسهم وما هدموها قط على عكس ما فعله النصارى بعد انتهاء الحكم الاسلامي فيما عُرف باسم محاكم التفتيش الاسبانية ، 4. الاهتمام بالحضارة المادية . فاسسوا الادارة واقاموا العمران وانشئوا القناطر والكباري ، 5. تقليد الاسبان للمسلمين في كل شئ ، 6. اتخاذ المسلمين قرطبة عاصمة لهم بدلا من طليطلة لانها كانت قريبة من فرنسا ومن منطقة الصخرة فكانت غير امنة فنقلوها الى قرطبة وحتى تكون ايضا قريبة من المدد الاسلامي في المغرب ، 7. الجهاد في فرنسا : كان ذلك في عهد السمح بن مالك الذي عينه الخليفة عمر بن عبد العزيز ففتح كل منطقة الجنوب الغربي لفرنسا ثم اسس مقاطعة ضخمة جدا وهي مقاطعة سبتمانيا ، حتى وقع شهيدا في معركة تولوز عام 102هـ ، وجاء بعده عنبسة بن سحيم فوصل في جهاده الى مدينة سانس وهي تبعد عن باريس بنحو ثلاثين كيلومترا وهذا يعني ان نحو 70% من اراضي فرنسا كانت تحت الحكم الاسلامي ، واستشهد عنبسة وهو في طريقه الى الاندلس عام 107هـ ، وجاء بعده عبد الرحمن الغافقي الذي استطاع ان يقضي على الخلافات العصبية بين العرب والبربر في الاندلس وتوحيد صفوفهم مرة اخرى

معركة بواتيه (بلاط الشهداء) : بعد ان وحد عبد الرحمن الغافقي المسلمين اتجه ناحية فرنسا ليستكمل الفتح من جديد فوصل الى اقصى غرب فرنسا وفتح المدينة تلو الاخرى حتى وصل الى بواتيه وهي المدينة التي تسبق باريس مباشرة ، التقى الجيشان ؛ خمسون الفا من المسلمون امام اربعمائة الف استطاع شارل مارتل تجميعهم من كل شئ طالته يداه ، اندلع القتال لتسعة ايام لا غالب ولا مغلوب وفي اليوم العاشر كاد ان ينتصر المسلمون الا ان فرقة من الفرنج نفذت الى معسكر الغنائم خلف الجيش وهنا صاح الصائح على الغنائم فرجعت فرقة من الفرسان الى الخلف دفاعا عن الغنائم فاهتز قلب الجيش الاسلامي و استشهد عبد الرحمن الغافقي ، وبعد انقضاء اليوم العاشر انسحب المسلمون الى الجنوب وجاء اليوم الحادي عشر فهم الفرنج لمواصلة القتال فلم يجدوا احدا من المسلمين .

بعد فاجعة بلاط الشهداء واستشهاد عبد الرحمن الغافقي تم تولية عبد الملك بن قطن الفهري على الاندلس ، وكان هم عبد الملك بن قطن تثبيت امر المسلمين في المناطق الفرنسية التي بدأت تتهاوي بعد موقعة بلاط الشهداء الا انه كان ظلوما سئ السياسة فلم يجد والي افريقية بُدًا من عزله ، وبعد عزل عبد الملك بن قطن تم تعيين عقبة بن الحجاج السلولي واليا على الاندلس الذي تولى من عام (116:123هـ) ، وقام باكثر من سبع حملات داخل فرنسا فاخذ يفتح المدينة تلو المدينة حتى وصل الى بيدمونت بشمال ايطاليا حتى استشهد عام 123هـ وبعد استشهاده تبدأ الفترة الثانية من عهد الولاة وهي فترة الضعف .

فترة الضعف : تبدأ هذه الفترة (138:123هـ) ، وتشهد هذه الفترة حروبا ونزاعات كثيرة تحكمت فيها العصبيات القبلية والعنصرية وتجدد الصراع بين العرب والامازيغ (البربر) ، بعد وفاة عقبة بن الحجاج آلت ولاية الاندلس الى **عبد الملك بن قطن** مرة اخرى ، وحفلت ولايتة باحداث جسام كادت ان تعصف بالاسلام من الاندلس كليا منها تجدد الصراع بين العرب والبربر وظهور طائفة الخوارج الذين قادوا الثورة والحرب على عمال بني امية ، بدأت الفتنة البربرية الكبرى في المغرب العربي على يد الخوارج الذين تغلغلوا الى صفوف البربر ونشروا تعاليمهم ودارت معركة كبرى بين العرب والبربر عند وادي شليف وكانت الهزيمة المنكرة للعرب ، بلغت انباء الهزيمة الى الخليفة **هشام بن عبد الملك** فعزل **عبيد الله بن الحجاب** وولى افريقية الى **كلثوم بن عياض القشيري** وبعثه على رأس جيش بلغ ثلاثين الفا وجعل معه **بلج بن بشر** و **ثعلبة بن سلامة** والتقى الجيشان وهُزم العرب ، وتحصن العرب في مدينة سبتة ، لكن العدوى انتقلت الى الاندلس ، فما لبث ان اعلن بربر الاندلس العصيان وتغلغلوا الى كثير من مدن الاندلس فقتلوا وطردوا العرب منها ، وزحفوا باتجاه المدن الكبرى للسيطرة عليها ، فلم يجد عبد الملك بن قطن بُدًا من الاستعانة ببلبج واصحابه المحاصرين في سبتة فبعث اليهم لاخماد الثورة الامازيغية (البربرية) التي كادت ان تعصف بهم فاستطاعوا سحق ثورتهم وتشتت جمعهم وتفرقوا في البلاد ولم تقم لهم بعدها قائمة ، لكن بلبج وجنوده رفضوا ان يرجعوا الى المغرب بعد انقاذهم الاندلس وقال بلبج انه ولي الاندلس بعهد من **كلثوم بن عياض** والي المغرب ، وهجموا على ابن قطن واعتقلوه ثم صلبوه عام 123هـ ، وبعد مقتله تجدد الصراع بين القيسية واليمنية فدارت معركة بين انصار ابن قطن وبين الشاميين انتصر فيها الشاميين وقتل فيها بلج بن بشر واختار الشاميون بعده **ثعلبة بن سلامة** واليا عليهم ، لكن جموع المتحالفين تجمعت مرة اخرى للقضاء على الشاميين فهُزم الشاميون هزيمة منكرة وانسحبوا الى ماردة وتحصنوا بها واحكم المتحالفين سيطرتهم عليها ، لكن اثناء عيد الاضحى وانشغال المتحالفين بالعيد هجم الشاميون عليهم وكان النصر حليفهم ، ولم يتورع الشاميون عن القتل ولا عن استرقاق اسراهم من الرجال والنساء والاطفال البالغ عددهم عشرة آلاف حملهم ثعلبة معه الى قرطبة ، رأت الخلافة سوء الحال التي وصلت اليه الأندلس فبعثت **ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي** الذي اظهر العدل والانصاف واطلق سراح الاسرى وتوحدت كلمة المسلمون مرة اخرى وعاد الاستقرار والهدوء النسبي الى الاندلس , لكن ما لبث ان تجددت الصراعات العصبية القبلية من جديد ، فهذا ابا الخطار حين تحاكم اليه يمني وقيسي وكانت حجة القيسي ابلغ من حجة اليمني ولان ابي الخطار يمني متعصب حكم لليمني , لكن القيسي ذهب الى زعيمهم **الصميل بن الحاتم** ليطلب حقه المسلوب فذهب الصميل الى ابا الخطار فاهان ابو الخاطر الصميل وضربه حتى اعوجت عمامته ، فجمع الصميل قومه وانصاره وكان اللقاء عند وادي لكة وقد تفرق جمع ابي الخاطر بعد ان رفض الكلبيون قتال ابناء عمومتهم ففر الى قرطبة ، لكن الصميل قبض عليه وسجنه وخلعه وولى مكانه **ثوابة بن سلامة الجذامي** لكن ولايته للاندلس لم تدم طويلا فقد توفى بعدها بعام (129هـ) ، اشتد النزاع على السلطة في الاندلس بين الاطراف المتنازعة فتوصل الصميل الى حل يقضي بتقسيم السلطة بين القيسيين واليمنيين على شكل تعاقب سنوي واقتنع الطرفان ، وكان اول الولاة من القيسيين وهو **يوسف بن عبد الرحمن الفهري** لكن سرعان ما دانت البلاد لامر الفهري والصميل لا ينازعهما فيها احد وامر الفهري بتعيين الصميل على سرقسطة وقبل الصميل ... وكان من اهم الاحداث التي طرأت على الاندلس في هذه الفترة .. 1: فقد الكثير من الاراضي الاسلامية في فرنسا ، 2:ظهرت مملكة نصرانية عند منطقة الصخرة تسمى مملكة ليون ، 3: انفصال اقليم الاندلس عن الخلافة الاموية ، 4: انقسمت الاندلس الى عدة فرق وثورات لا حصر لها ، 5: ظهور فكر الخوارج في البلاد ، 6 : سقوط الخلافة الاموية عام 132هـ وقيام الخلافة العباسية.

عصر الامارة الأموية (138:316هـ)

بعد سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية قتل العباسيون كل من كان مؤهلا للخلافة من بني امية فقتلوا الامراء وابنائهم وحتى احفادهم الا قلة لم تصل اليهم سيوفهم وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك ، هرب عبد الرحمن بن معاوية من الشام متجها الى بعض قرى العراق ناحية الفرات لكنه لم يسلم من مطاردات العباسيين له ، فلجأ الى برقة في ليبيا فظل مختبئا بها خمس سنوات الى ان تهدأ المطاردات ثم خرج بعدها الى القيروان ، ولما كثر الامويون في المغرب ازدادت خشية عبد الرحمن بن حبيب والي الشمال الافريقي فطرد الكثير منهم وقتل اثنين من ابناء الوليد بن يزيد ثم جدَّ في طلب عبد الرحمن بن معاوية فلم يجد عبد الرحمن بن معاوية الا بلاد الاندلس ؛ وكانت الاندلس اصلح البلدان لاستقباله لانها ابعد الاماكن عن العباسيين والخوارج ولكثرة الثورات فيها ، وفي 136هـ بدأ عبد الرحمن بن معاوية يعد العدة لدخول الاندلس فارسل مولاه بدرًا الى الاندلس لدراسة الموقف فراسل كل محبي الدولة الاموية هناك فقد كان كثيرا من اهلها يحبون الامويين وحكمهم ، وقد كانت الاندلس في نزاع بين اليمنية والقيسية فحاول التحالف مع القيسية فرفضوا فذهب الى اليمنية فوافقوا وتم لهم الامر ، ونزل عبد الرحمن بن معاوية الى ساحل الاندلس بمفرده واستقبله هناك مولاه بدر وكانت الاندلس في ذلك الوقت تحت حكم يوسف الفهري ، وعند وصوله التف حوله محبي الدولة الاموية والبربر والقبائل اليمنية وكان على راس اليمنيين ابو الصباح اليحصبي ، ارسل عبد الرحمن بن معاوية عدة رسائل الى يوسف الفهري يطلب وده وان يسلم له الامارة ويكون رجلا من رجاله, لكن الفهري رفض وكانت موقعة المصارة , دار قتال شرس بين يوسف الفهري وعبد الرحمن بن معاوية انتصر فيها عبد الرحمن بن معاوية وفر يوسف الفهري ، وبعد انتصاره في المصارة دخل عاصمة الاندلس قرطبة ولقب بـ عبد الرحمن الداخل وسميت الفترة التي تلت دخوله قرطبة بفترة الامارة الاموية لانها اصبحت اقليم مستقل عن الخلافة الاسلامية ، لكنه لم يسلم من الثورات عليه ، فقامت عليه اكثر من خمس وعشرين ثورة اخذ يروضها واحدة تلو الاخرى فاستمال من استطاع من الثائرين وحارب الباقين ، وكان الثمن غاليا جدا ففي السنوات الاربع الاولى من دخوله الاندلس سقطت كل مدن المسلمين في فرنسا بعد ان حكمها الاسلام طيلة سبع واربعين سنة متصلة منذ ايام موسى بن نصير ، وبعد ان استقر الامر نسبيا في الاندلس اولى الاهتمام بالامور الداخلية للبلاد اهتماما كبيرا :

اولا بناء جيش قوي : اعتمد في تكوين جيشه على عنصر المولدين الذين نشئوا من اختلاط الفاتحين باهل البلاد الاصليين ، اعتمد على الفصائل والقبائل الموجودة في الاندلس ، كذلك اعتمد على الصقالبة وهم اطفال النصارى ، كذلك انشأ دور للاسلحة الحربية ، انشأ اسطولا بحريا قويا بالاضافة الى انشاء اكثر من ميناء ، كان يقسم الميزانية الى ثلاثة اقسام : قسم للجيش ، قسم للامور العامة للدولة ، قسم يدخره لنوائب الزمن الغير متوقعة

ثانيا : اولى العلم والجانب الديني اهتماما كبيرا : فعمل على نشر العلم وتوقير العلماء ، اهتم بالقضاء والحسبة ، اهتم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، انشأ مسجد قرطبة الكبير الذي انفق على بنائه ثمانين الفا من الدنانير الذهبية

ثالثا : العناية الكبيرة بالجانب الحضاري : اهتم بالانشاء والتعمير وتشييد القلاع والحصون والقناطر ، وانشأ الرصافة وهي اكبر الحدائق في الاسلام وقد اتى لها بالنباتات العجيبة من كل بلاد العالم

رابعا : حماية حدود دولته من اطماع الاعداء : قام بتنظيم الثغور المقابلة للبلاد النصرانية ووضع جيوش ثابتة عليها ومنها ، 1. الثغر الاعلى وهو ثغر سرقسطة في الشمال الشرقي من مواجهة فرنسا ، 2. الثغر الاوسط ويبدا من مدينة سالم حتى طليطلة ، 3. الثغر الادنى . وهو في الشمال الغربي من مواجهة مملكة ليون النصرانية .

عاش عبد الرحمن الداخل تسعا وخمسين سنة وتوفى في قرطبة ودُفن بها في جُمادي الاول 172هـ .

استمرت فترة الامارة الاموية منذ دخول عبد الرحمن الداخل الاندلس من عام (316:138هـ) ، ويمكن تقسيم هذه الفترة الى ثلاث فترات ، الاولى هي فترة القوة واستمرت من (238:138هـ) ، والفترة الثانية هي فترة الضعف واستمرت من (300:238هـ) ، والفترة الثالثة هي فترة التاسيس والانتقال لعصر الخلافة الاموية واستمرت من (316:300هـ)

الفترة الاولى (فترة القوة) : تبدأ بتولية هشام بن عبد الرحمن الداخل بعد ان جعله ابوه خليفة له ، فلما علم سليمان اخيه بالامر غضب واعلن الثورة على اخيه وجهز جيشا وتوجه لقتال اخيه في قرطبة ودارت حرب شرسة انتهت بهزيمة سليمان ففر عائدا الى طليطلة ، كان هشام بن عبد الرحمن الداخل عالما محبا للعلم فقد احاط نفسه بالعلماء والفقهاء وساعد على نشر اللغة العربية في البلاد حتى اصبحت تدرس في معاهد اليهود والنصارى داخل الاندلس ، كما ساعد على انتشار المذهب المالكي فيها بعد ان كانت على مذهب الامام الأوزاعي ، وتوفى عام 180هـ ودفن في القصر ، تولى بعده ابنه الحكم من (206:180هـ) فكان قاسيا جدا ففرض الكثير من الضرائب واهتم بالشعر والصيد وقاوم الثورات باسلوب غير لائق حتى وصل به الامر الى حرق بيوت الثائرين ونفيهم خارج البلاد ، ونتيجة لهذه الافعال سقطت بعض البلاد الاسلامية في يد النصارى ؛ فسقطت برشلونة واصبحت تعرف باسم **مملكة ارجوان** ، لكن الحكم برغم كل هذا الا انه تاب عن افعاله في آخر عهده ورجع عن ظلمه واستغفر واعتذر للناس عن ذنوبه ، حكم بعده ابنه عبد الرحمن الثاني المعروف باسم عبد الرحمن الاوسط من عام (238:206) ، ومن اهم ما تميز به عبد الرحمن الاوسط : **1.ازدهار الحضارة العلمية والفنية** : فمن اشهر علماء عصره **عباس بن فرناس** وكنيته ابو القاسم وكان فيلسوفا وشاعرا له علم بالفلك ، وهو اول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وهو اول من اخترق الجو فكسا نفسه بالريش ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتاذى ظهره ، وعلى جانب آخر كان من اشهر الفنانين في الاندلس بل في العالم **زرياب** الموسيقار المشهور : فهو اول من جعل أوتار العود خمسة مع العلم أنها كانت أربعة أوتار ، أدخل على الموسيقى مقامات كثيرة لم تكن معروفة قبله، وادخل فن الموشحات للاندلس ، وأسس أول معهد للموسيقى في العالم في مدينة قرطبة، وفي الزي والتصميم تخير زرياب البساطة والتناسق والرشاقة ،... **2. ازدهار الحضارة المادية** : اهتم عبد الرحمن الاوسط بالحضارة المادية اهتماما كبيرا فازدهرت حركة التجارة في عهده وكثرت الاموال وتقدمت وسائل الري واقام القصور والحدائق الغنَّاء في الوقت الذي كانت تعيش فيه اوروبا في جهل وظلام دامس ، **3. وقف غزوات النورمان** : وهم اهل اسكندنافيا وهي بلاد الدانمارك والنرويج وفنلندا والسويد ، وهي قبائل همجية متوحشة تعيش على غزوات تسمى غزوات الفايكنج ليس لها هم الا جمع المال وهدم الديار ، هجمت هذه القبائل على اشبيلية فافسدوا فيها فسادا كبيرا ، فلما علم عبد الرحمن الاوسط بالامر جهز جيشه واعد عدته وخلال اكثر من مائة يوم كاملة دارت بينه وبينهم معارك ضارية انتصر المسلمون فيها وعاد النورمان الى بلادهم خاسئين خاسرين

الفترة الثانية (فترة الضعف 300:238) : كانت هناك عدة عوامل ادت لضعف الامارة الاموية كان من اهمها : **عمر بن حفصون** : كان يتزعم عصابة من اربعين رجلا وحين بدأ الناس يركنون الى الدنيا ويتركون الجهاد اشتد خطره وبدأ يثور في الجنوب فسيطر على كل الجنوب الاندلسي ، لدرجة انه تحول من الاسلام الى النصرانية وسمى نفسه صمويل حتى يكسب تاييد مملكة ليون في الشمال فبدأت تهاجمها من الشمال وصمويل يهاجمها من الجنوب .... ، ادت كثرة الثورات في الاندلس الى ان الحكومة المركزية في قرطبة لم تعد تسيطر على كل الاندلس الا مدينة قرطبة وبعض القرى المجاورة وتوزعت الاندلس بين كثير من القواد كل يحارب الاخر وكل يبغي ملكا ومالا ، وأدى ذلك ايضا الى ظهور مملكة نصرانية ثالثة بجانب ليون وأراجون وهي **مملكة نافار** ، وما زاد الامر خطورة هو ظهور دولة جديدة في المغرب اشد خطورة على الاندلس وهي الدولة الفاطمية او العبيدية ، وكانت دولة شيعية خبيثة همها الاول قتل علماء السنة ونشر نفوذها في المنطقة ، كما ان الاقطار الاسلامية كانت متشتتة كل اقليم يمثل دولة والخلافة العباسية لا تحكم الا بغداد فقط .

عصر الخلافة الاموية (300:366هـ)

إن الناظر الى حال الاندلس في عهد ضعف الامارة الاموية يرى انه لا محالة من انتهاء الاسلام فيها وانها لن تنقذ الا بمعجزة جديدة مثل معجزة عبد الرحمن الداخل ، وبالفعل قد منّ الله عليها بأمير جديد وحد الصفوف وقوى الاركان حتى اصبحت الاندلس في عهده اقوى الممالك على الاطلاق ، هو عبد الرحمن الناصر

عبد الرحمن الناصر (277:350هـ) : هو أبو المُطرّف عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن حكام الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل ، تولى عبد الرحمن الناصر الحكم وهو لا يملك الا قرطبة العاصمة وما حولها من قرى الا انها لم تكن تمثل اكثر من عُشر مساحة الاندلس ، وبدأ عبد الرحمن الناصر من هذه المساحة الصغيرة يغير التاريخ فقام بعدة امور منها : قام بتغيير فريق العمل من حوله فعزل غير الصالح وولى من رأى فيه الكفاءة والمقدرة وحسن التدبير ، اعلى من شأن العلماء ورفع منزلتهم فوق منزلته ورضخ لاوامرهم ونواهيهم على نفسه اولا قبل شعبه ، وبعد الانتهاء من الشأن الداخلي في قرطبة اتجه الى المحيط الخارجي حيث الثورات المتعددة في كل ارض الاندلس فأخذ يروضها واحدة تلو الاخرى ، واستولى على عدة مدن منها استنجة التي كان يسيطر عليها اتباع ابن حفصون ، ثم خرج بنفسه قائدًا على حملة عسكرية متجهة الى صمويل او عمر بن حفصون ؛ لان هذا الرجل لا يختلف اثنان على انه يستحق القتل لانه ارتد عن الاسلام وتحول الى النصرانية ، كما انه يستطيع ان يحفز اهل قرطبة الذين قد ألفوا الثورات حيث المعركة بمنتهى الوضوح بين المسلمين والمرتدين ، استمرت الحملة ثلاثة اشهر كاملة ولكن ما زالت قوة صمويل كبيرة جدا فالمدد ياتيه من الشمال من دول النصارى ومن الدولة العبيدية (الفاطمية) في الجنوب فضلا عن امدادات اشبيلية ، فبدأ عبد الرحمن الناصر يعد العدة لقطع الامدادات عن صمويل فهجم على اشبيلية وضمها اليه ، وتعمق الى الجنوب واستولى على مضيق جبل طارق ، ثم انه قطع ايضا الامدادات التي كانت تأتيه من الشمال من الدول النصرانية عن طريق المحيط الأطلسي ثم مضيق جبل طارق ثم البحر المتوسط وبذلك يكون قطع كل طرق الامدادات التي كانت تمده وتقويه فلم يجد صمويل مفرا من طلب الصلح والمعاهدة مع عبد الرحمن الناصر على ان يعطيه اثنين وستين ومائة حصن من حصونه فوافق عبد الرحمن الناصر ، وفي عام 306هـ مات صمويل مرتدا على نصرانيته فاستطاع عبد الرحمن الناصر الاستيلاء على كل معاقل ابن حفصون وتطهيرها في عام 316هـ ، قام عبد الرحمن الناصر بعدة حملات في جميع انحاء الاندلس وبعد ستة عشر عامًا استطاع ان يوحدها كلها تحت راية واحدة ، وبعد ان وحد الاندلس اطلق على نفسه لقب امير المؤمنين وسمى الامارة الاموية بالخلافة الاموية ، وفي عام 327هـ كان الجيش الاسلامي هناك قد بلغ زهاء مائة الف مقاتل فاخذ الناصر هذا الجيش متجها الى مملكة ليون النصرانية ليحاربهم هناك ، ودارت واحدة من اشرس واعنف المعارك في التاريخ الاسلامي سُميت بموقعة الخندق ، هُزم فيها المسلمون ، وبانتهاء المعركة كان عدد الجيش خمسون الفا والنصف الاخر بين القتل والاسر وفر عبد الرحمن الناصر بما تبقى من الجيش عائدين باكبر خسارة واثقل هزيمة ، وفي عام 329هـ قاموا بحروب عظيمة على النصارى وحملات مكثفة انتهت بانتصارات تلو انتصارات حتى ايقن النصارى بالهلكة وطلب ملك ليون وايضا ملك نافار الامان والمعاهدة على الجزية فدفعوا جميعا الجزية . لم تقتصر الاخطار على الاندلس في الثورات او حتى في الممالك النصرانية فحسب بل كان هناك خطرا لا يقل عن عنهم خطورة وهي الدولة العبيدية (الفاطمية) الناشئة في المغرب التي كانت تطلع الى الجزيرة لما فيها من خيرات وثروات ، ففي عام 319هـ ارسل الناصر اسطولا قويا الى سبته فاستولى عليها من يد حلفاء العبيديين ثم سارع في تحصينها لانه يعلم ان العبيديين لن يتخلوا عنها بسهولة ليس لانها مفتاح الاندلس فحسب بل لانها ان بقيت في سيطرة الناصر فانها ستهدد دولتهم الناشئة في المغرب ، وراسل ايضا حاكم طنجة لينزل له عنها لتكتمل سيطرته على رأس العدوة فرفض فحاصره اسطول الاندلس حتى اضطره الى التسليم ، ثم لم يلبث عبد الرحمن الناصر أن مرض ثم توفى عام 350هـ

قبل ان ننتقل الى الفترة التي تلت حكم عبد الرحمن الناصر علينا ان نقف قليلا الى اهم سمات هذه الفترة منها الفكر العسكري : ورث عبد الرحمن الناصر عن جده عبد الرحمن الداخل مبادئ اساسية للحرب منها : مبدأ المباغتة ، فكان يعتمد احيانا الى المباغتة الزمنية حيث يعمل على حشد القوات خلال فترة مبكرة واحيانا اخرى يلجأ الى المباغتة المكانية حيث يضلل اعداءه فيظهر في مكان غير متوقع من مسرح العمليات ، غير المباغتة كان يتصف ايضا بالموازنة بين ادارة الحرب وقيادة الاعمال القتالية ، حيث كان يقود المعارك ويمسك بالادارة العليا للحرب بنفسه . بلغت الثورات والفتن الداخلية في الاندلس ذروتها مما دفع مملكة ليون ان تخوض صراعا عنيفا مع الاندلس في عهد عبد الرحمن الناصر حتى استطاعت ليون هزيمة عبد الرحمن الناصر في موقعة شنت إشتيين917م ، ثم توالت غارات ليون على الاراضي الاسلامية حتى وفاة ملكها أردونيو ، ثم استقر الملك بعدها لـ راميرو الذي لم يترك وسيلة الا استعملها ليضر بها المسلمين ، ودار صراع بين راميرو وعبد الرحمن الناصر قد بلغ ذروته في موقعة الخندق فهُزم المسلمون تحت اسوار مدينة سمورة (327هـ - 939م) ، في عام 950 توفي راميرو وتولى عرش ليون بعده ابنه أردونيو ، وسرعان ما حدث صراع داخلي في مملكة ليون انتهى الى انشاء مملكة نصرانية جديدة وهي مملكة قشتالة ، كانت غزوات المسلمين تتوالى في هذه الفترة على الاراضي الليونية فاضطر أردونيو الى عقد الصلح مع عبد الرحمن الناصر 955م ثم ما لبث ان توفى أردونيو وخلفه اخوه سانشو الذي اضطر الى ان يقر ما سبق ان تعهد به اخوه ، وبعد وفاة عبد الرحمن الناصر نكث سانشو بعهوده ولم ينفذ ما اتفق عليه مع عبد الرحمن الناصر .

ما سبق كان من التاريخ السياسي والعسكري لعبد الرحمن الناصر , لكنه لم تقتصر جهوده على الجانب العسكري فقط بل كان نظامه في الحكم نظام كامل ومتوازن في كل الامور منها الجانب المعماري : انشأ عبد الرحمن الناصر مدينة عظيمة اطلق عليها مدينة الزهراء وقد اتى عبد الرحمن الناصر لها مواد من القسطنطينية وبغداد وتونس واوروبا وفي مدينة الزهراء انشأ قصر الزهراء ذلك القصر الذي لم يُبنَ مثله حتى الان ، فقد بالغ في انشائه حتى اصبح من معجزات زمانه ، فقد كان الناس يأتون له من جميع ارجاء العالم ليشاهدوه ، وهذه مدينة قرطبة التي اتسعت جدا في عهده وبلغ تعداد سكانها نحو نصف مليون مسلم وبذلك تكون ثاني اكبر مدينة في التعداد السكاني في العالم بعد بغداد ، وهذا ايضا مسجد قرطبة الذي وسَّعه حتى اصبح آية من آيات الفن المعماري حتى أُطلق على قرطبة في هذا الوقت " جوهرة العالم " . اما عن الجانب الاقتصادي فقد كانت البلاد تعيش في عهده في رخاء منقطع النظير فكثرت الاموال حتى بلغت ميزانية الدولة زهاء ستة ملايين دينار ذهبي ، ونمت الزراعة نموا مزدهرا فتنوعت اشجار الفواكه والمزروعات كما نظم أقنية الري وأساليب جر المياه وجعل تقويما للزراعة في كل موسم ، واهتم ايضا باستخراج الذهب والفضة والنحاس وكذلك صنع الجلود والسفن والادوية وقام بانشاء اسواق متخصصة لعرض هذه البضائع ، اما عن الجانب الأمني كانت خُطة الشرطة من اهم المناصب الادارية المتعلقة بضبط الامن والنظام وقسمها بحسب اهميتها الى : الشرطة العليا ، الشرطة الوسطى ، الشرطة الصغرى ، كما قسم خطة المظالم (المحاكم) الى خطتين تتضمن العرض والمظالم كل منهما خطة مستقلة بذاتها ، اما عن الجانب العلمي فقد ازدهر في عهده العلم والتعليم بصورة كبيرة فاهتم كثيرا بمكتبة قرطبة فزاد من حجمها حتى بلغ عدد الكتب فيها زهاء اربعمائة الف كتاب ، وقد نبغ كثير من الاسماء في ذلك الحين منهم حسان بن عبد الله بن حسان الذي كان معتنيا بالحديث والآثار ومتتصرفا في علم اللغة والاعراب ، ومنهم ايضا محمد بن عبد الله الليثي الذي كان حافظا للرأي معتنيا بالآثار جامعا للسنن متصرفا في علم الاعراب ومعاني الشعر . اما عن السياسة الخارجية فقد ذاع سيط عبد الرحمن الناصر في الدنيا كلها ورضيت منه ممالك الشمال ان تعطيه الجزية ، وقد جاءت السفارات من جميع انحاء اوروبا من المانيا وايطاليا وفرنسا وانجلترا وبيزنطة تطلب وده وتهدي اليه الهدايا ، فقد كان عبد الرحمن الناصر اعظم ملوك اوروبا في القرون الوسطى بلا منازع وكانت الاندلس في عهده اقوى دولة في العالم على الاطلاق .

استخلف عبد الرحمن الناصر من بعده ابنه الحكم الذي تولى سنة (366:350هـ) وتلقب بالمستنصر بالله ، انشأ الحكم بن عبد الرحمن المكتبة الاموية التي تُعد اعظم مكتبات العصور الوسطى على الاطلاق ، وكانت تنافس مكتبة قرطبة ومكتبة بغداد وقد جلب لها اعظم الكتب من كل مكان في العالم من مشارق الارض ومغاربها في جميع فروع المعارف ، ورتب معلمين ومربين يعلمون اولاد الفقراء والضعفاء ، كما انشأ جامعة قرطبة التي كان مقرها المسجد الجامع الكبير وتُدرس في حلقاتها مختلف العلوم ، ولهذا نقرأ في عصره اسماء كثير من العلماء منهم : ابو بكر الزُبيدي الذي كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وكان اخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر الى علم السير والاخبار ، ومن اشهر علماء عصره ايضا ابن القوطية الذي كان اهل زمانه باللغة العربية ، يروي الحديث والفقه والاخبار والنوادر ، وكان من اكثر الناس رواية للاشعار وادراكا للآثار وكانت كتب اللغة اكثر ما تُقرأ عليه وتؤخذ عنه

لم يكن عبد الرحمن الناصر يسعَ للسيطرة على بلاد الشمال الافريقي سيطرة تامة ولم تكن تمثل له الا انها البوابة الجنوبية للاندلس ، ولم يحفزه لبسط سيطرته عليها الا قيام الدولة العبيدية ومعرفته بانها تسعى للسيطرة على الاندلس ، احتمى كثير من حكام الشمال الافريقي بعبد الرحمن الناصر خوفا من بطشه واحتماءً من بطش العبيديين ، وكان الحكم المستنصر على علم بكل هذا لذلك سعى لأن يُبقي على هذه التحالفات قوية مع هؤلاء الحكام ، في عام 360هـ استطاع حلفاء الحكم المستنصر الانتصار على زيري بن مناد الصنهاجي عامل المعز لدين الله العبيدي وقطعوا رأسه ورءوس كبار رجاله ، فعزم العبيديون على الانتقام فجهزوا جيشا قويا عام 361هـ وعلى رأسه يوسف بن زيري الشهير ببلقين وقامت حرب زَبون بين الفريقين وهُزم اتباع المستنصر ، فلما ايقن محمد بن الخير أمير قبيلة زناتة بالهزيمة اتكأ على سيفه فذبح نفسه لألا يقع اسيرا في يد العدو ، فخضعت لبلقين معظم المناطق التابعة للحكم المستنصر في شمال افريقيا عدا سبتة لشدة تحصينها ، وكان حسن بن قنون ممن استسلم لبلقين وتحول عن طاعة الحكم المستنصر الى طاعة العبيديين ؛ فبادر الحكم بارسال جيشا قويا الى سبتة لتكون قاعدته التي يتجه منها للسيطرة على بلاد الشمال الافريقي كاملة ، ودارت المعارك بين جيش حسن بن قنون وجيش الاندلس وهُزم حسن بن قنون وفر الى طنجة , لكن حسن بن قنون لم ييأس فأعاد تنظيم قواته ودارت بين الفريقين معركة شديدة في حصن مهران هُزم فيها الجيش الأندلسي ، وفي العام نفسه جهز الحكم المستنصر جيشا قويا وجعل على رأسه احد افضل قواده وهو غالب بن عبد الرحمن ودار بينهما قتال شديد ، استمرت المعارك اياما ولما شعر حسن بن قنون بالهلاك ارسل يطلب الامان فأمنه غالب ، ودخل من بقي من حكام الشمال الافريقي في طاعة الخليفة المستنصر واستقر الامر له في الشمال الافريقي , لكن الحسن بن قنون كان لجوجا سيئ الخلق فامر الخليفة بترحيله الى المشرق فرحل الى مصر ووعده العزيز بالله العبيدي بالعون والنصرة حتى يعود اليه ملكه في المغرب .

بعد وفاة عبد الرحمن الناصر نكث سانشو بعهوده التي قطعها على نفسه فعزم المستنصر على تأديبه فتحالف سانشو مع فرنان كونثالث امير قشتالة ومع غرسية سانشيز ملك نافار ومع كونت برشلونة لصد الهجوم الاسلامي الوشيك ، فخرج المستنصر عام 963م فاجتاحت الجيوش الاسلامية اراضي قشتالة ونافار ومزقت جيوشهم شر ممزق مما ارغم ملوكهم على طلب الصلح مع المسلمين .

في عام 355هـ هاجمت عصابات الفايكنج السواحل الغربية للاندلس مرة اخرى وبدءوا يعيثون فيها فسادا فخرج اليهم المسلمون ودارت بينهم معارك شديدة هُزم فيها الفايكنج واختفوا بعد ذلك .

وبعد ذلك شغل الحكم المستنصر بامر الشمال الافريقي واخضاعه لسلطانه وبين هذا وذاك كان مهتما بنشر العلم والتعليم واقامة الصرح الحضاري العظيم في الاندلس حتى توفى 366هـ بعدما اخذ البيعة لابنه هشام وهو لا يزال طفلا .

الدولة العامرية (366:399هـ)

توفى الحكم المستنصر 366هـ مستخلفا على الحكم ابنه هشام بن الحكم وكان عمره آنذاك احد عشر عاما فقط ، وكان في القصر حزبان قويان هما الفتيان الصقالبة من جهة (و الصقالبة هم الخدم الذين جلبهم النخاسون اطفالا من بلاد الفرنجة) ، ومن الجهة الاخرى الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومعه قائد الشرطة القوي والناظر في شئون الخليفة ومتولي امره محمد بن ابي عامر ، ومن وراء هذا الحزب ام الخليفة صبح البشكنسية . كان من عادة امراء بني امية الاستكثار من الفتيان الصقالبة والاعتماد عليهم في اعمال القصر وفي امورهم الخاصة حتى بلغ عدد العاملين منهم في القصر فقط اكثر من الف فتى فاتسع نفوذهم واصبحوا قوة لا يستهان بها ، وكان كبير الصقالبة الفتى فائق ويليه الفتى جؤذر ، فلما مات الحكم المستنصر كتما خبر موته وعزما على نقل الخلافة الى اخي الحكم المستنصر المغيرة بن عبد الرحمن الناصر وصرف امر الخلافة عن هشام بن الحكم لصغر سنه ، واتفقا ان يأتوا بالحاجب فيخيروه بين الموافقة او القتل فارسلا اليه ونعوا اليه الحكم المستنصر واخبراه بما يريدا فادرك الحاجب التهديد الكامن وراء الكلام واظهر الموافقة ، ولما عاد الى القصر سارع في طلب كبار رجال الدولة ونعى اليهم الخليفة واخبرهم بخطة الفتيان الصقالبة فاشاروا اليه بقتل المغيرة فسارع ابن ابي عامر بتنفيذ المهمة ، فذهب ومعه بعض الجنود الى بيت المغيرة ونعوا اليه اخيه واخبره بان الوزراء قد خشوا ان يخرج المغيرة على بيعة هشام فقال له المغيره انه سامع مطيع واقبل يستلطفه ويناشده الله في دمه حتى رق قلب ابن ابي عامر فلما علم الحاجب جعفر ارسل اليه يلومه فعلم ابن ابي عامر ان لا سبيل لنجاة المغيرة فقتله خنقا امام حريمه ، اخذ الفتيان الصقالبة يدبروا الخطط لخلع هشام بن الحكم عن الحكم وتوالت المؤامرات حتى عمد ابن ابي عامر الى الفتيان الصقالبة فامرهم بمغادرة القصر الى دورهم وان يلزموها ولا يخرجوا منها ، ونفى فائق الى الجزائر الشرقية (جزر البليار الان) وبذلك استأصلوا شوكة الفتيان الصقالبة وامنوا مكرهم ، بعد القضاء على مؤامرة الصقالبة صفا الحال لحزب هشام بن الحكم المتمثل في الحاجب المصحفي وام الخليفة الصغير صبح البشكنسية ثم محمد بن ابي عامر ، ثم نضيف الى هؤلاء شخصية رابعة الا وهي فارس الاندلس الكبير وصاحب التاريخ الجهادي الزاهر غالب الناصري ، فلما علم النصارى بوفاة الحكم المستنصر نقضوا كل ما كان بينهم وبينه من عهود ومواثيق وشرعوا يهاجمون الثغور الاسلامية هجمات عنيفة والخليفة الصغير لا يستطيع فعل شئ والمصحفي متردد خائر الراي ليس له عزيمة ولا يدري ماذا يفعل وهو يجبن عن الخروج لملاقاة العدو ، وهنا نهض للامر محمد بن ابي عامر فعرض على الحاجب جعفر المصحفي ان يقوم بتجهيز الجيش للجهاد فوافق المصحفي لانه لم يجد رجلا يجرؤ على قيادة الجيش غيره ، استعد ابن ابي عامر لهذه الغزوة افضل استعداد وسار في رجب 366هـ الى الشمال وعاد الى قرطبة منتصرا بعد اثنين وخمسين يوما ففرح الناس بذلك فرحا عظيما ، اتفق غالب الناصري مع محمد ابن ابي عامر على عزل المصحفي ذلك الحاجب الضعيف المتردد الرأي الذي ليس له سابق خبرة بالجهاد ، فما ان عاد ابن ابي عامر منتصرا حتى امر الخليفة بعزل المصحفي عن مدينة قرطبة وتولية ابن ابي عامر المدينة ، فاظهر في حُكم المدينة كفاءة منقطعة النظير ، فلما رأى المصحفي ما آل اليه بادر الى استمالة غالب بخطب ابنة غالب لابنه ، وما ان علم ابن ابي عامر بالامر ارسل الى غالب يناشده العهد بخطب ابنة غالب لنفسه فزفت اسماء بنت غالب الى محمد بن ابي عامر في عرس لا مثيل له في الاندلس ، ثم تغير الخليفة على جعفر وسخط عليه فامر بعزله هو واولاده واقاربه عن اعمالهم في الدولة ، فسارع ابن ابي عامر الى محاسبتهم حتى استصفى كل اموالهم ومزقهم شر ممزق ، حتى توفي جعفر المصحفي سنة 372هـ في سجنه ، وقيل قُتل ، وقيل دست اليه شربة فيها سم .

استقر الامر لـ **محمد ابن ابي عامر** فلقد اضحى الحاكم الفعلي لبلاد الاندلس بينما الخليفة الصغير يكبر على مهل لا يدري من حال مملكته شيئا ، وعرف هذا العهد بعهد **الدولة العامرية** التي امتدت من (399:366هـ) ، لم يكن لمحمد ابن ابي عامر عصبة (قبيلة او عائلة) ترفعه وتحميه ويتكئ عليها ؛ فاستكثر من البربر وضمهم اليه واستقوى بهم ، انشأ محمد ابن ابي عامر مدينة ملوكية جديدة شرق قرطبة سماها **مدينة الزاهرة** حتى اصبحت هي المدينة الاساسية في الاندلس وبها قصر الحكم ، كما وسع من مسجد قرطبة حتى اصبح اكبر من اي مسجد او كنيسة في العالم ، وهو لا يزال موجودا الى الان في اسبانيا لكن ومع الاسف تم تحويله الى كنيسة بعد سقوط الاندلس ، استدعى ابن ابي عامر فارس المغرب وزعيم بني برزال جعفر بن حمدون وقربه منه ورفع من قدره ، ورأى غالب الناصري وجود جعفر منافسة وتحديا له يُثبت ان الدولة تستطيع الاستغناء عنه ومن ثم ساء الجو بين غالب وابن ابي عامر وحدث امر خطير ... دعا غالب ابن ابي عامر الى وليمة اقامها في مدينة أنتيسة وجرى بينهما نقاش حاد حتى سبه غالب وسل سيفه وضربه ، الا ان ابن ابي عامر استطاع النجاة من هذه الضربة ثم عاد الى قرطبة وقد استعلنت بينهما العداوة ، جهز ابن ابي عامر جيشا من قرطبة لملاقاة غالب الناصري ، وهنا اتصل غالب براميرو الثالث ملك ليون وطلب منه النجدة فأمده راميرو بجزء من جنده ، التقى الجيشان ؛ جيش قرطبة امام جيش غالب الناصري ومعه جيش ليون ، وكاد ان ينتصر غالب الا انه رفع صوته قائلا " اللهم ان كنت اصلح للمسلمين من ابن ابي عامر فانصرني ، وان كان هو الاصلح لهم فانصره " ، وهنا مشى غالب بفرسه الى خارج الجيشين فظن الناس انه يريد الخلاء ثم طال غيابه فذهب بعض جنوده للبحث عنه فوجدوه ميتا بلا اثر ولا ضربة ولا رمية !! ، فعادوا بالبشرة الى ابن ابي عامر ، وهنا انحاز جيش غالب المسلم الى جيش قرطبة ، واستدار الجيشان ليواجها جيش ليون لتبدأ غزوات الممالك النصرانية التي استمرت بعدئذٍ سبعة وعشرين عاما انتهت جميعا بالنصر للمسلمين ، وبعد عودة الجيش الى قرطبة منتصرا قام ابن ابي عامر باتخاذ لقب ملوكي فلقب نفسه بالحاجب المنصور واصبح يُدعى له على المنابر مع الخليفة ثم نُقش اسمه على النقود والكتب والرسائل ، غزا محمد بن ابي عامر في حياته اربعا وخمسين غزوة لم يُهزم في واحدة منها , بل وصل في فتوحاته الى اماكن في بلاد النصارى لم يصل اليها احد من قبل ؛ فقد وصل الى منطقة الصخرة التي لم يستطع المسلمين فتحها من قبل واستطاع ان يغزو النصارى في عقر دارهم ، جاء عن الحاجب المنصور في سيرة حروبه انه سير جيشا كاملا لانقاذ ثلاث من نساء المسلمين كن اسيرات لدى مملكة نافار ، ذلك انه كان بينه وبين مملكة نافار عهد وكان من شروط العهد الا يأسروا احدا من المسلمين ، فسير المنصور جيشا جرارا لانقاذ النسوة وقال له ملك نافار إن هؤلاء النسوة لا نعرف بهن فقد اسرهن جندي من الجنود وقد تم عقاب هذا الجندي ثم ارسل الى المنصور يعتذر له وعاد المنصور الى بلده ومعه النسوة الثلاث ، وكان من الملفت للنظر ايضا في حياة الحاجب المنصور انه رغم طول فترة حكمه لم تقم ضده اي ثورة او تمرد , الا ما ذكرناه من قبل عن النزاع بينه وبين غالب الناصري ، ظل الحاجب المنصور في جهاده وفتوحاته الى ان توفاه الله عام 392هـ .

توفي المنصور بن ابي عامر واستخلف على الحجابة ابنه عبد الملك وتم توليته من 392 هـ الى ان مات 399هـ ، سار عبد الملك على نهج ابيه في سياسته الداخلية والخارجية وفي غزوه الدائم للاراضي النصرانية في الشمال حتى تلقب بالحاجب المظفر بالله ، وكان من اشهر علماء الدولة العامرية **المجريطي** امام الرياضيين في الاندلس وكان اوسعهم احاطة بعلم الافلاك وحركات النجوم ، وله كتاب رتبة الحكيم وهو اهم مصدر لدراسة الكيمياء في الاندلس ، وغاية الحكم وفيه بحوث تهتم بدراسة الحضارة في اقدم عصورها ، ومن اشهر علماء الاندلس ايضا **ابو القاسم الزهراوي** الذي يعد من كبار جراحي العرب المسلمين وهو اول من اخترع اولى ادوات الجراحة ، وهو صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف الذي يعد موسوعة كثيرة الفائدة في الطب وظلت المرجع الكبير لدارسي الطب في جامعات اوروبا حتى القرن السادس عشر ، وهو اول من جعل الجراحة علما قائما على التشريح واول من جعله علما مستقلا .

من خلف ستار الخلافة الاموية ظل الحاجب المنصور ومن بعده ابنه عبد الملك يحكمان الاندلس ، وفي هذه الاثناء كان الخليفة هشام بن عبد الحكم قد بلغ ثمانية وثلاثين عاما ومع ذلك لم يطلب الحكم فقد تعود على حياة الدعة ، وبعد وفاة الحاجب المظفر تولى امر الحجابة اخوه عبد الرحمن بن المنصور وكان ايضا يدير الامور من خلف الستار , لكنه كان شابا فاسقا ، شرّابا للخمر ، زاني ، كثير المنكرات ، فكرهه الناس في الاندلس ، وهنا اجبر عبد الرحمن بن المنصور الخليفة هشام بن عبد الملك بان يجعله خليفه من بعده وبذلك لن يصبح الامر من خلف الستار كما كان من قبل ؛ فغضب بنو امية والناس اجمعين لهذا الامر ولكن لم تكن لهم قدرة على القيام بشئ لان جميع الولايات كانت في يد العامريين واتباعهم من البربر ، وحين خرج عبد الرحمن بن المنصور للجهاد في الشمال انتهز الناس الفرصة فذهبوا الى هشام بن عبد الملك في قصره وخلعوه بالقوة وعينوا مكانه رجلا من بني امية وهو محمد بن هشام وتلقب بالمهدي ، ثم ما لبث ان ارسل الى عبد الرحمن بن المنصور جماعة قبضوا عليه وقتلوه وارسلوا اليه برأسه ، وبعد تولي المهدي انفرط العقد تماما في الاندلس اذ كان فتى لا يحسن ادارة الامور وليس له من فن الادارة شئ فقام بعدة اعمال منها : القى القبض على كثير من العامريين ونفاهم الى اطراف البلاد وهدم مدينة الزاهرة واباح انتهابها ، اساء الى البربر حتى بدأ العامة يتطاولون عليهم حتى وصل به الحال ان اعلن انه من يقتل بربريا فله جائزة فسارع الناس الى قتل البربر وهتك اعراضهم ، فلم يعجب الناس بهذا الامر وسخطوا عليه ، فتجمع البربر وأتوا بسليمان بن الحكم فنصّبوه عليهم ولقبوه بالمستعين بالله امير المؤمنين ، وجد سليمان بن الحكم ومعه البربر ان قوتهم ضعيفة ولن تقدر على مواجهة قوات المهدي فقرروا ان يستعينوا بمملكة قشتالة النصرانية ، دارت معركة كبيرة بين قوات المهدي وقوات سليمان بن الحكم انتصر فيها سليمان وتولى مقاليد الحكم في الاندلس ، فر المهدي الى طرطوشة في الشمال وفكر في الاستعانة باحد اولاد بني عامر وهو الفتى واضح فوافق ، وجد المهدي ومعه الفتى واضح انهما لن يقدرا على مواجهة قوات سليمان بن الحكم فقررا الاستعانة بامير مدينة برشلونة النصرانية فوافق امير برشلونة لكن بشروط منها : مائة دينار ذهبي عن كل يوم قتال ، دينار ذهبي لكل جندي عن كل يوم قتال ، اخذ الغنائم واخذ مدينة سالم، فوافق المهدي ، ودارت معركة كبيرة بين قوات المهدي وقوات سليمان بن الحكم انتصر فيها المهدي ، لم يتراجع المهدي عن سياسته التي اشعلت الفتنة ، وظل على تتبعه للبربر وقتلهم وانتهاكهم بمساعدة الصليبيين حتى ضج اهل قرطبة واغروا الفتى واضح بقتله وتولي امور البلاد ، وبالفعل انقلب واضح على المهدي وقتله وبدأ في تولي الامور , لكن الناس اعتادت على ان يكون الخليفة امويا وليس عامريا والا فسوف تحدث انقلابات ، ومن هنا رأى الفتى واضح ان ينصب خليفة امويا ويحكم هو من ورائه فلم يجد افضل من هشام بن الحكم الخليفة المخلوع من قبل وعاد هشام بن الحكم من جديد الى الحكم لكن زمام الامور كانت في يد الفتى واضح ، كان سليمان بن الحكم لم يقتل بعد وما زال في البلاد يدبر المكائد ، وعام 403هـ عندما كان هشام بن الحكم على الحكم قام سليمان ومعه البربر بالهجوم على قرطبة وعاثوا فيها فسادا وقتلا واغتصابا للنساء ، ثم من جديد يتولى سليمان بن الحكم الحُكم وفر هشام بن الحكم او قتل لم يعرف عنه شئ وفر العامريون الى شرق الاندلس ، من سنة 403هـ ظل سليمان بن الحكم يتولى الحكم وكان غالبية جيشه من البربر وبعد عام واحد يثور حاكم مدينة سبتة المغربية البربري ويدعى علي بن حمود الذي وصلت اليه رسالة على لسان هشام بن الحكم توصي اليه بالخلافة من بعده ؛ فاتصل بمن يناصره في الاندلس ثم عبر اليها 407هـ ووقعت المعركة بين علي بن حمود وبين سليمان المستعين بالله فانتصر علي بن حمود فبدأ بذلك عهد الدولة الحمودية في قرطبة ، وصارت نزاعات على السلطة بين العامريين والبربر ، غير ان الامور لم تهدأ ؛ فكلما نصب حاكم في قرطبة ثار عليه القرطبيون ان كان من البربر ، او لم يستطع ضبط الامور ان كان امويا ، لقد انتهى عهد الرجال الاقوياء في الاندلس ولم يبقى الا ضعيف الرأي والعزم ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى عام 422هـ ، اجتمع العلماء وعلية القوم من اهل قرطبة عام 422هـ ووجدوا انه لم يعد هناك من بني امية من يصلح لادارة الامور ؛ وكان زعيم هذا الامر قاضي قرطبة ابو الحزم بن جهور ، لكن في الحقيقة ان ابا الحزم بن جهور لم يكن يسيطر وهو ومجلس الشورى الا على قرطبة فقط ، اما بقية الاقاليم فقد ضاعت السيطرة عليها تماما وبدأت الاندلس تقسم الى دويلات ليبدأ ما يسمى بعهد دويلات الطوائف او ملوك الطوائف .

قرطبة جوهرة العالم

قبل ان ننتقل الى العصر الذي تلى الخلافة الاموية علينا ان نقف قليلا عند مدينة قرطبة ، فقد كانت قرطبة محط اعجاب العالم ودهشته وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو اشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة التي تحوي سبعين مكتبة وتسعمائة حمام عمومي ، كانت مدينة قرطبة شاهد على ما وصلت اليه حضارة المسلمين وعز الاسلام في ذلك الوقت من التاريخ حتى اطلق عليها الاوروبيون " جوهرة العالم " ، وفيما يلي سنعرض بعض مظاهر الرقي والحضارة التي تميزت بها الاندلس عامة وقرطبة خاصة ومنها :-

قنطرة قرطبة : كانت من اهم المعالم الهامة في قرطبة ، وكانت تقع على نهر الوادي الكبير وعرفت ايضا باسم الجسر وايضا قنطرة الدهر بناها السمح بن مالك ، وكان طولها اربعمائة متر تقريبا وعرضها اربعين متر وارتفاعها ثلاثين مترا ، وفي وقت لم يكن فيه الناس يعرفون وسائل الانتقال الا الخيل والبغال والحمير ، ولم تكن وسائل واساليب البناء على المستوى المتطور حينئذٍ

مسجد قرطبة : يعتبر من اهم معالم قرطبة وآثارها الباقية الى اليوم ، قد بناه عبد الرحمن الداخل وكان كل خليفة جديد يضيف اليه ما يزيد من سعته وتزيينه حتى صار اكبر من اي مسجد او كنيسة في العالم , لكن ومع الاسف تحول هذا المسجد عقب سقوط الاندلس الى كاتدرائية واصبح تابعا للكنيسة مع احتفاظه باسمه ، وتحولت مئذنته الشاهقة الى برج تُنصب فوقه اجراس الكنيسة

جامعة قرطبة : لم يقتصر دور المسجد على العبادة فقط بل كان ايضا جامعة علمية تعد من اشهر جامعات العالم آنذاك واكبر مركز علمي في اوروبا ، وكان يدرس في هذه الجامعة كل العلوم وكان يُختار لها اعظم الاساتذة ، وكان الطلاب يوفدون اليها من الشرق والغرب مسلمين وغير مسلمين ، واستطاعت جامعة قرطبة ان تخرج للعالم الجم الغفير من العلماء في جميع العلوم منهم : الزهراوي اشهر طبيب وجراح وابن وشد والادريسي وغيرهم الكثير ...

قرطبة المدينة العصرية : للحال التي رأينا كانت قرطبة مدينة عصرية تضارع المدن العالمية في الالفية الثالثة ، وكيف العجب وقد انتشرت المدارس لتعليم الناس وانتشرت المكتبات الخاصة والعامة حتى صارت اكثر بلاد الله كتبا وحتى غدت مركزا ثقافيا ومجمعا علميا لكل العلوم في شتى المجالات ، وكان الفقراء يتعلمون في المدارس بالمجان على نفقة الحكام ، ولم يوجد في قرطبة شخص واحد لا يجيد القراءة والكتابة في حين لم يكن يعرفها ارفع الناس في اوروبا في ذلك الوقت

كانت هذه هي احدى مدن الحضارة الاسلامية التي ساهمت في تقدم مسيرة الانسانية ودفع عجلتها الى الامام ، والحقيقة ان قرطبة ليست الوحيدة في ذلك بل كان هناك بغداد ودمشق والقاهرة والبصرة وغيرهم على الدرجة نفسها من العجب او اشد ، هذه هي حضارة المسلمين اعظم حضارات الدنيا ، ودرة الجبين في تاريخ الانسانية الطويل .

عصر ملوك الطوائف (422:483هـ)

استحالت الاندلس بعد ان كانت كتلة موحدة الى اشلاء ممزقة ورقاع متناثرة وهي دول الطوائف وذلك منذ اوائل الربع الاول من القرن الخامس حتى الفتح المرابطي ، قرابة ستين عاما قضتها في سلسلة لا نهاية لها من المنازعات والحروب الاهلية ، وتقسمت الاندلس بعد ان كانت كتلة واحدة الى اثنين وعشرين دولة قُسمت الى سبع مناطق رئيسية وهي : اولا بنو عباد: وقد اتخذوا منطقة اشبيلية ، ثانيا بنو زيري : وقد اخذوا غرناطة ، ثالثا بنو جهور : وقد اخذوا قرطبة ، رابعا بنو الأطفس : واستوطنوا غرب الاندلس ، خامسا بنو ذي النون : واستوطنوا المنطقة الشمالية التي فيها طليطلة وما فوقها ، سادسا بنو عامر : واستوطنوا شرق الاندلس ، سابعا بنو هود : واخذوا منطقة سرقسطة التي تقع في الشمال الشرقي ... وفيما يلي ذكر لحال اشهر تلك الدويلات

اولا بنو جهور في قرطبة : اجمع اهل قرطبة على تولية خليفة من بني امية واجمعوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الملك لكنه اساء السيرة وظلم الرعية فثاروا عليه وخلعوه ، واجتمع اهل قرطبة واجمعوا على الغاء الخلافة الاموية والتخلص نهائيا من بني امية ، وبدأت انظار اهل طربة تتجه نحو الوزير الحازم المعروف برأيه وحسن تدبيره ابو الحزم جهور بن محمد واجمعوا عليه واختاروه اختيارا شرعيا شوريا ، اتبع ابو الحزم جهور نظاما شوريا اقرب الى النظام الديمقراطي في وقتنا الحاضر فلم ينفرد بالسياسة ولا بتدبير الامور بل شكل مجلسا شوريا وزاريا وسمى نفسه (امين الجماعة) ، وقد عُرفت الحكومة التي كونها ابن جهور بحكومة الجماعة والشورى ، وكانت البلاد حينئذٍ تعيش في حالة توتر امني كما شهدت فسادا اقتصاديا وعاشت كذلك تدهورا علميا وفكريا ؛ فاتخذ ابن جهور اجراءات اصلاحية في البلاد منها القضاء على الانقلاب الامني ، وعمل على اصلاح الفساد الاقتصادي ، وعمل على اصلاح القضاء ، وعملت هذه السياسة على الازدهار الثقافي والفكري .. حين كاد الصراع ان يحتدم بين المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية والمظفر بن الاطفس صاحب بطليوس حيث هاجم المعتضد بن عباد مدينة لبلة الواقعة غربي اشبيلية فاستغاث صاحبها ابن يحيى بالمظفر بن الاطفس لنجدته فتحرك له وارسل جماعة من البربر لمهاجمة اشبيلية ، وارسل الوزير بن جهور رسله لينذرهم من رحى فتنة تعصف ببلاد الاندلس ويدعوهم الى السلم وفض النزاع ، هكذا عاشت قرطبة في ظل حكومة الجماعة آمنة من الفتنة فضلا عن الازدهار الامني والاقتصادي حتى توفى ابن جهور عام 435هـ واجمع اهل قرطبة على تقديم ابنه ابي الوليد محمد بن جهور حاكما عليهم ، خطى ابو الوليد محمد بن جهور خطى والده وكان من محاسن دولته ان قرب اليه المؤرخين والشعراء ، وبقيت الامور على ما هي عليه حينا , لكن ابا الوليد محمد بن جهور اتعبته السياسة واثقلت كاهله فعقد الامر لابنه عبد الملك ، لكن عبد الملك كان على خلاف والده ؛ فظلم واساء السيرة ، واستبد بالسلطة وعم الخوف محل الأمان ، فلما وجد اخوه الاكبر عبد الرحمن ذلك طمع في السلطة وزعم انه احق بالولاية من اخيه ، وبدأت الفوضى تعم الاندلس ، فلما وجد ابو الوليد بن جهور ذلك قسم السلطة والاختصاصات بينهما ، الا ان عبد الملك تغلب على اخيه فسجنه وحكم عليه بالاقامة الجبرية في بيته ، وعم الفساد مرة اخرى ، مهدت مظاهر الانحلال السابقة للسقوط الازلي لدولة بني جهور في قرطبة ، فعقب هذه الاضطرابات اغار صاحب طليطلة على قرطبة فاستغاث عبد الملك بن جهور بالمعتمد بن عباد وكانت تلك الاستغاثة الاخيرة من بني جهور والتي اعقبها سقوط حكمهم الى الابد في قرطبة على نحو ما سنفصله في موضعه ، على الرغم من كل هذه الاضطرابات كانت قرطبة عاصمة الخلافة المنصرمة تمثل حضارة العلوم ليس في الاندلس فحسب بل في العالم كله ، وكانت مكتبتها شعلة علم تأتي اليها البعثات الغربية لتستضئ بنورها من ظلمات الجهل التي غرقت فيها اوروبا قرونا من الزمان .

ثانيا بنو عباد في اشبيلية : تُعد مملكة اشبيلية اهم دول الطوائف كلها واعظمها شأنا واقواها عدة وشكيمة فقد علا فيها شأن العلم والعلماء والأدب والأدباء ؛ وهذا ما جعل ملوكها اشهر الملوك وشعراءها افحم الشعراء ، وبنو عباد من العرب الداخلين الى الاندلس وهم ينتمون الى لخم ، وكان قد دخل رهط من اللخميين بلاد الأندلس ، كان منهم عطاف بن نعيم وهو جد العباديين ، ودخل الاندلس مع طالعة بلج بن بشر وهو لخمي النسب صريحا .

سطع نجم بني عباد في اشبيلية منذ سقوط الخلافة الاموية ونتج عن ذلك توالي الفتن وكثرة الانقلابات ، وقد تألق نجم بني عباد في اعقاب الفتن على يد جدهم ابي الوليد اسماعيل بن عباد ، وقد استطاع بحكمة ودهاء ان يجمع خيوط السياسة في يده ويجمع حوله اعيان ورؤساء اشبيلية ، ثم لما مرض ندب الامر من بعده لابنه ابي القاسم محمد ليشغل القضاء ، وهكذا اصبحت اشبيلية ولاية شرعية لابي القاسم فهو قاضيها وحاكمها معا ، وكان من اشهر اعماله اعلانه ظهور الخليفة هشام المؤيد وتجديد البيعة له خليفة باشبيلية وانه قد عُثر عليه حيا عام 426هـ ، ولم تكن هذه الخطوة عبثا ؛ فهو كان يرمي من ناحية الى دحض دعوى الحموديين بالخلافة ، وبعد ان اخذ القاضي ابن عباد البيعة لهشام باشبيلية بعث بالكتب الى انحاء الأندلس لأخذ البيعة للخليفة الشرعي للبلاد ، فلم يعترف به احد سوى الوزير ابي الحزم جهور لدفع دعوى الحموديين في الخلافة ، وقد عظم ملك ابن عباد وقويت شوكته الى ان توفى عام 433هـ ، عندما توفى القاضي ابو القاسم ولي من بعده ابنه ابو عمرو عباد بن محمد وتلقب بالمعتضد بالله ، بدأ المعتضد بالله عهده بالقوة والصرامة فبطش بوزراء ابيه ، ثم انتقل على امارات غربي الاندلس فملكها وضمها الى املاكه ، ولما فرغ من امارات الغرب اتجه الى الامارات البربرية في الجنوب فدبر كمينا لامراءها، حيث دعاهم الى زيارته باشبيلية فلبى الدعوة ثلاثة منهم ، فاستقبلهم احسن استقبال ثم امر بالقبض عليهم واستولى على امتعتهم وسلاحهم ثم امر بادخالهم الحمام واشعل النار فيهم ، وبذلك امتلكت اشبيلية في عهد المعتضد مساحة شاسعة تشمل المثلث الجنوبي من الاندلس ، في عام 450هـ تعرض المعتضد لمؤامرة كادت ان تفتك به وبملكه كله ؛ اذ تآمر عليه ابنه وولي عهده اسماعيل ووزيره البزلياني ، فاكتشف المعتضد المؤامرة التي دبرها ابنه مع الوزير وقتلهما ، وفي عام 451هـ عزم المعتضد على قطع الخطبة للمدعو هشام المؤيد ونعى هشام المؤيد الى رجال دولته واهل مملكته ، توفى المعتضد بن عباد عام 461هـ بعد ان آل حكم اشبيلية الى ابنه ابي القاسم وتلقب بالمؤيد بالله وايضا المعتمد على الله ، وكان المعتمد بن عباد على علم بما تضمره القبائل البربرية في الاندلس وخاصة في غرناطة فسير قواته ناحية غرناطة للسيطرة عليها وضمها الى املاكه واستطاع ان يضم معظم اراضي طليطلة ، لكنه لم يقتنع بما تحت يديه ؛ اذ طمع في ضم غرناطة ، وهنا اصطدم بعبد الله بن بلقين حاكمها ودارت بينهما حروب شرسة استنصر فيها المعتمد بن عباد بالنصارى على اخيه المسلم على نحو ما سنذكره في الصراع بين اشبيلية وغرناطة ان شاء الله ، وتوفى المعتمد بن عباد عام 488هـ.

تمتعت اشبيلية بمكانة علمية واسعة النطاق بقدر ما كانت تتمتع بع من مكانة سياسية وعسكرية ، فقد كان بنو عباد اعظم ملوك الطوائف اعتناءً بالادب قدر اعتنائهم بالسياسة ، ولعل اشهر شعرائهم ابن زيدون وابن اللبانة وابن عمار .

ثالثا بنو الأطفس في بطليوس : ظهرت مملكة بطليوس واحدثت تغييرا فعليا في عصر ملوك الطوائف على يد بني الاطفس ، وقصة الدولة تبدأ عند احتدام الفتنة في اواخر عهد الحكم المستنصر بالله حيث كان يحكم المنطقة الغربية لبلاد الاندلس الفتى سابور العامري ، فلما اشتدت الفتنة استبد سابور واعلن انفصاله واستقلاله الا انه افتقد الخبرة ، فاستوزر عبد الله بن محمد الأطفس فدبر اعماله ، وما لبث ان صار الأطفس هو الحاكم الفعلي للبلاد ، فلما مات سابور ترك ولدين صغيرين هما : عبد الملك وعبد العزيز ، فاعلن الاطفس استقلاله واستبداده بالامور ، ظل عبد الله بن الأطفس يعمل على تقوية دولته وتوسعتها واحكام السيطرة عليها الى ان توفى 437هـ وخلفه من بعده ابنه محمد الملقب بالمظفر ، عمل المظفر على توطيد ملكه في بطليوس وما حولها ، واستطاع بحنكته وشجاعته ان يقيم ملكا ضاهى فيه ملك بني عباد في اشبيلية وملك بني ذي النون في طليطلة ، ولم يكن ذلك الا بدماء جنده التي اهدرت في ساحات الحرب ، ولم يكن النصارى لتغيب عنهم تلك الأحداث المؤسفة في بلاد المسلمين ؛ لانهم يتحينون الفرص للقضاء على الاسلام في الاندلس ، فما ان استتب الامر لفرناندو الاول ملك قشتالة وليون حتى هاجمت قواته المنطقة الشمالية والغربية لبطليوس وضاعت الثغور الغربية في يد فرناندو ، وأُجبر ابن الاطفس على دفع الجزية للنصارى ، وظل المظفر بن الاطفس على ذلك حتى توفى 460هـ وخلفه ابناه يحيى وعمر ، اما يحيى فخلف اباه وملك بطليوس واخوه عمر كان بيابرة حاكما عليها ، ثم اشتعلت النزاعات بين الاخوين واشتعلت الحرب الاهلية ببطليوس وكادت الفتنة تأكل كل شئ ، إلى ان توفى يحيى وانفرد عمر بالامر كله دون منازع وتلقب بالمتوكل على الله ، لم تكن شهرة المتوكل شهرة سياسة او دهاء انما كانت شهرته شهرة اديب وشاعر وبليغ ، فقد جمع فوق شجاعته علما وادبا وبلاغة ، وقد دامت ايام المتوكل الى ان تغلب المرابطون على الاندلس ، فبعد ان حاصر سير بن ابي بكر قائد المرابطين اشبيلية راسل المتوكل الفونسو السادس ليستعين به على المرابطين ، وقد استطاع المرابطون دخول الاندلس بسهولة وقُبض على المتوكل وابنيه وأُخذ بهم الى اشبيلية ، وقيل له تأهب للموت ، فسأل ان يُقَّدم ابناه ، فقُدما عليه فقُتلا ، وقام بعدها يصلي ركعتين فطعنوه بالرماح حتى فاضت نفسه وغربت شمسه .... ، كانت بطليوس في ظل بني الاطفس حاضرة من حواضر العلم والادب والفقه وكان يتسابق اليها العلماء والشعراء ، وقد نبغ فيها العديد من العلماء والفقهاء الاجلاء مثل ابو الوليد الباجي وابن عبد البر وغيرهم ..

رابعا بنو ذي النون في طليطلة : عندما وقعت الفتنة وانهارت السلطة المركزية بالاندلس اضحت طليطلة بلا حاكم او والٍ يتولى عليها ويضبط امنها ، فاضطربت الامور في طليطلة وعمت الفوضى ، فاجتمع زعماء طليطلة على ان يرسلوا الى حاكم شنتمرية عبد الرحمن بن ذي النون الذي وطد ابنه اسماعيل أمور البلاد وتلقب بالظافر ، ولم تطل مدة ولاية الظافر اسماعيل إذ وافته المنية سنة 435هـ وخلفه ابنه يحيى وتلقب بالمأمون ، لم يكن عهد المأمون عهد هدوء واستقرار ، انما كان عهد تنازع وفراق بينه وبين ملوك الطوائف الاخرى ، واستعانوا بالنصارى بعضهم على بعض ، وهذا ما دفع بالنصارى ان يغيروا على املاك المسلمين ، ولا يجدون رادعا يردعهم ولا قوة تطاردهم ؛ فنهبت البلاد وسرقت الاموال وسبيت النساء ، اتسعت رقعة ملك المأمون حتى ملك بلنسية شرق الاندلس ، وعظمت خزائنه حتى قصده الشعراء والعلماء ، مات المأمون بن ذي النون مسموما بقرطبة وخلفه حفيده يحيى وتلقب بالقادر بالله ، فما ان امسك مقاليد الحكم بدأت الهموم والمتاعب والثورات تنهال عليه ، واستغل ابو بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية الفوضى واعلن استقلاله ، ومن ناحية اخرى قامت ثورات داخلية للاطاحة به ؛ فهرب القادر من طليطلة الى حصن وبذة ، وهنا وجد اهل طليطلة انفسهم بلا حاكم ، فاستقدموا المتوكل بن الاطفس ليحكم البلاد ، وظل المتوكل حاكما عليه الى ان عاد القادر مرة اخرى بمعونة النصارى ، ونجحت قوات الفونسو الدخول الى طليطلة واعادة القادر ، وكانت هذه العلاقة المشئومة سببا في سقوط طليطلة فيما بعد ... ، في الواقع لم يكن ببلاط طليطلة للشعر والادب دولة زاهرة الا انها شهدت دولة زاهرة في علوم الحياة : الرياضيات والطب والزراعة ، ومن مشاهير علماء طليطلة : ابن وافد وابن بصال وابن سعيد والزرقالي وصاعد الاندلسي وغيرهم .

خامسا بنو هود في سرقسطة : اجتمع اهل سرقسطة على سليمان بن هود كأمير عليهم وتلقب بالمستعين بالله ، ومنذ هذا الوقت بسط بنو هود سلطانهم على الثغر الاعلى لبلاد الاندلس ، ولعل اشهر اعماله السياسية والعسكرية ما كان بينه وبين المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، واستعانة كل منهما على اخيه بالنصارى ، وظل النصارى يشعلون نار الفتنة بين المسلمين ، وكادت الفتنة تأتي على اراضي المسلمين إلا ان وقاهم الله شرها بموت سليمان بن هود 438هـ ، قبيل وفاة سليمان بن هود قسم اعمال دولته على ابنائه الخمسة ، ويبدو ان هذا العمل كان عملا سلبيا ؛ اذ زرع العداوة والشقاق والتناحر بين الاخوة ، فما ان توفى والدهم حتى استبد كل منهم بما تحت يده من اعمال ، لكن احمد بن سليمان كان اسعدهم حظا واقواهم ذكاء وحيلة ؛ اذ ظل يتحايل على اخوته حتى سجنهم وبسط يده على سلطانهم عدا لاردة ؛ اذ وقف اخوه يوسف امام اطماعه واستطاع ان يحمي لاردة من اخيه ، لكن احمد المقتدر استطاع ان يتغلب على اخيه يوسف بالغدر والخيانة ؛ اذ استعان بالنصارى على اخيه واستطاع بقوتهم ان يضم لاردة الى املاكه عام 468هـ ، وبذلك اصبحت سرقسطة اكبر ممالك الطوائف من حيث المساحة .

في عام 456هـ وقعت اعظم المحن للمسلمين في الاندلس ، إذ هجم النورمانديون على مدينة بربشتر وفتكوا اهلها ، وابادوا المسلمين بأبشع صور الابادة ، ولم يبادر احمد المقتدر لانجاد المدينة لانها كانت من اعمال اخيه يوسف ، اقام العدو عليها اربعين يوما ، ثم ان القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة انهارت وفسدت ، ووقعت صخرة عظيمة سدت السرب بأسره ؛ فانقطع الماء عن المدينة ، وحصل العدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى ، وقُدر من قُتل وأُسر بمائة الف نفس ، وكان الفرنج لما استولوا على المدينة كانوا يفتضون البكر بحضرة ابيها ، والثيب (السيدة) بعين زوجها واهلها ، وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهده المسلمون مثله قط فيما مضى ، طار نبأ الفاجعة في الاندلس كلها ، واهتزت لها القلوب ، فاسرع المقتدر بن هود فاعلن الجهاد على النصارى ، وعادت المدينة الى املاك المسلمين بعد ان دامت في يد النصارى تسعة اشهر ، توفى المقتدر احمد بن هود سنة 475هـ متأثرا بعضة كلب ، وخلفه من بعده ابنه يوسف ، لم تكن شهرة يوسف المؤتمن في قدرته العسكرية وطموحاته التوسعية فقط بل ايضا في كفاءته العلمية والفكرية ، لم تدم مدة حكم المؤتمن اكثر من اربعة اعوام ؛ اذ توفى سنة 478هـ ، وهي السنة التي استولى فيها النصارى على طليطلة ، وخلفه في الحكم ابنه احمد المستعين ، فما ان اسقط الفونسو طليطلة حتى وجه قواته ناحية سرقسطة حاضرة المستعين ، فحاصر المدينة حتى جاء نبأ قدوم المرابطين لانقاذ الاندلس ، وبعد انتصار المرابطين على النصارى في الزلاقة ضعفت قوة قشتالة ، فاستغل المستعين هذه الفرصة واخذ يتحين الفرص للانقضاض على بلنسية حلم آبائه واجداده ، وباءت محاولاته كلها بالفشل ، خاصة انه اعتمد على النصارى المرتزقة ، وشاءت الاقدار ان تقع في ايديهم بعد ان حاصرها جنودهم ونصبوا عليها المجانيق حتى اكل المسلمون الكلاب والجيف والفئران ، بل واكل الناس من مات من اخوانهم المسلمين ، حتى استردها المرابطون سنة 495هـ ، مات المستعين بن هود وخلف من بعده ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة ، وبايعه اهل سرقسطة شريطة الا يحالف النصارى والا يستعين بهم ، لكن الامور سارت عكس ما اراد الشعب ؛ اذ استعان عبد الملك بالنصارى ، فغضب الناس وتحركت الحمية في قلوبهم فبعثوا الى المرابطين فدخلوها سنة 503هـ ، فما لبثت ان سقطت في يد النصارى في رمضان 512هـ ، كانت سرقسطة في عهد بني هود كغيرها من حواضر العلم في الاندلس آنذاك ؛ فقد نبغ فيها علماء اجلاء كابن باجة والطرطوشي واسماعيل بن خلف وغيرهم

تعد الطوائف التي ذكرناها هي الاقوى في عصر ملوك الطوائف لكنها ليست كل الطوائف ، انما هناك الكثير من الامارات الاخرى لم يكن لها شأن كبير في سير الاحداث ، مثل اسرة بني زيري في غرناطة ، واسرة بني طاهر في مرسيه ، واسرة بني برزال في قرمونة وغيرهم الكثير .

الفرقة والتناحر بين ملوك الطوائف

اولا الصراع بين اشبيلية وبطليوس : كان اول صدام عسكري قام به القاضي بن عباد صاحب اشبيلية هو قتاله مع عبد الله بن مسلمة الاطفس صاحب بطليوس حول باجة ، وكان القاضي ابن عباد على علاقة وطيدة بمحمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، لكنها في الواقع كانت علاقة مصالح لا اكثر ، بعث القاضي بن عباد لحليفه البرزالي يستعين به في السيطرة على باجة ، لكن ابن الاطفس سارع الى باجة قبل الحليفين وملكها ، فأرسل القاضي بن عباد ابنه اسماعيل على رأس جيش الى باجة ومعه قوة من صاحب قرمونة محمد بن عبد الله البرزالي ، فاضطرم القتال بين الفرقتين وكانت مذبحة مهيبة هُزم فيها ابن الاطفس ، وقُتل من جيشه الكثير وأُسر الكثير ، مرت اربع اعوام ، وبعث القاضي ابن عباد ابنه اسماعيل بجيش وتوغل شمالا في اراضي ابن الاطفس ، وهنا كَمَنَ ابن الاطفس لابن عباد واغلق عليه طريق الرجوع ، وكانت مقتلة عظيمة في جيش اشبيلية سنة 425هـ لم ينجُ منها الا القليل ... مرت السنون ومات القاضي ابن عباد وخلفه ابنه المعتضد بالله ، كما مات ابن الاطفس وخلفه ابنه محمد المظفر ، وهكذا مات الآباء وهم يحملون خصومات شنيعة ورثوها لابنائهم ، عادت الحرب اشد ما كانت عليه ، واضطرمت المعارك بين المعتضد والمظفر ؛ اذ حاول المعتضد انتزاع لبلة من صاحبها ابن يحيى الذي عجز عن صد جيوش اشبيلية ، فاستغاث بالمظفر صاحب بطليوس ، وخرج المظفر لإغاثة ابن يحيى ، واستغل فرصة غياب المعتضد عن اشبيلية فبعث بجماعة من البرابرة فعاثوا فيها ، وكادت تكون فتنة يذهب فيها الاسلام والمسلمون من كلا الامارتين ، فتدخل الوزير ابو الوليد بن جهور مسرعا وجهد في صرفهم ... ، في اواخر عام 442هـ جهز المعتضد بن عباد جيشه وعاث في اراضي بن الاطفس قتلا وتشريدا ونهبا وحرقا في الاراضي والمزارع ، فعمت المجاعة في البلاد ، والمظفر لا يستطيع الرد ، وكادت ان تكون نهايته ، إلا ان الوزير ابا الوليد بن جهور تدخل دارءًا للفتنة وسعيا في الصلح حتى تم له هذا في ربيع الاول 443هـ.

ثانيا الصراع بين اشبيلية وغرناطة : لم يكن الاشتباك بين اشبيلية وغرناطة في اي من البلدين ، وانما كان في استجة ، اذ سير ابو القاسم بن عباد جيشا لانتزاع قرمونة من محمد بن عبد الله البرزالي حليفه بالامس ، فحاصر ابن عباد قرمونة ثم نهض الى حصار أشذونة واستجة ، فلم يجد البرزالي الا ان يستنجد بالبربر ، فارسل الى ادريس الحمودي فامده بالعسكر ، وخرج باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، ودار بينهم قتال شرس انتهى بهزيمة بني عباد ، وقد اتسمت علاقة بني عباد باشبيلية بالعدائية مع باديس بن حبوس في غرناطة ، وكان الصراع على اشده بينهم في انتزاع مالقة والجزيرة الخضراء ، فقد استطاع المعتضد ان يسيطر على الجزيرة الخضراء ، وبقى له مالقة التي استطاع باديس ان يستولي عليها سنة 449هـ ، لكن المعتضد سير حملة بقيادة ابنيه جابر ومحمد ، وضربوا الحصار على مالقة ، وكادت ان تسقط الا ان باديس صاحب غرناطة اسرع لنجدتهم ، فكانت معركة قاسية هُزم فيها جيش اشبيلية ، توفى المعتضد بن عباد وخلفه في الحكم ابنه المعتمد على الله محمد ، لكنه لم يكن ينسى ما كان بين ابيه وبين باديس ، وكانت سياسة باديس في مجملها ذات نزعة عنصرية واضحة للبربر ، فذات مرة قام احد الفرسان العرب باغتيال امير رندة البربرية بتدبير من المعتضد بن عباد ، فلما علم باديس بالخبر قرر ان يقتل رعاياه الاندلسيين من العرب في المسجد الجامع بغرناطة يوم الجمعة ، فاستشار وزيره اليهودي يوسف بن نغرانة فحذره من هذا الامر ، فضرب بكلامه عرض الحائط ، لكن الله خيب تدبيره ، فقد سبقه ابن نغرانة الذي ارسل بعض النساء خفية الى دور العرب وحذروهم من الحضور للمسجد يوم الجمعة ، وهكذا فشل تدبيره ، مات باديس ابن حبوس وملك من بعده حفيده عبد الله بن بلقين ، وكان صبيا صغيرا لا يملك من امره شيئا ، وتولى امر دولته الوزير سماجة الصنهاجي ، ورأى الامير عبد الله بن بلقين انه لا قبل له بمقاومة جند المعتمد ، فبعث الى ملك قشتالة الفونسو السادس ليستعين به على المعتمد بن عباد ، وتعهد له بدفع جزية مقدارها عشرون الف دينار ، في عام 467هـ سار الفونسو السادس الى اشبيلية وغرناطة ليطالب بدفع الجزية ، فرفض عبد الله بن بلقين دفع الجزية ، فانتهز المعتمد الفرصة ، واخذ يُؤلب الفونسو على ابن بلقين ،

وبعث اليه وزيره ابن عمار فوقّع معه حلفا واتفاقا ، خلاصته ان يتعاون مسلمو اشبيلية مع نصارى قشتالة ضد مسلمي غرناطة ، وان تكون المدينة ذاتها لبني عباد ، وان يؤدي ابن عباد جزية مقدارها خمسون الف دينار ، عندئذٍ رأى الامير عبد الله بن بلقين انه يذهب بنفسه الى الفونسو ، واسفرت المفاوضات عن تعهد ابن بلقين على دفع جزية سنوية مقدارها عشرة آلاف مثقال من الذهب ، وما هي الا سنوات معدودة حتى سقطت طليطلة في يد الفونسو السادس سنة 478هـ ، فما كان من الامير عبد الله وابن عباد الا ان ارسلا رسلهما الى يوسف بن تاشفين لانقاذهم ، فأين كانوا هؤلاء عندما استحلوا دمائهم بايديهم واستعانوا بالنصارى على بعضهم !

ثالثا الصراع بين اشبيلية وقرطبة : بدأ الصراع بين اشبيلية وقرطبة مبكرا منذ ان بدأت احداث الفتنة في الاندلس ، وكانت من اشهر اعمال القاضي ابي القاسم بن عباد صاحب اشبيلية دعوته بظهور الخليفة هشام المؤيد ، ولم تكن نية ابن عباد من وراء ذلك الا دحضا لدعوى الحموديين بالخلافة ، فارسل رسله الى امراء الاندلس يطلب منهم اخذ البيعة والنزول على حكم الخليفة الشرعي ، اما الوزير بن جهور فمع علمه بكذب الدعوة وافترائها ، فاخذ له البيعة لانه يريد ان يتخذها ذريعة لدفع دعوى الحموديين ، ولكن الوزير ابن جهور تراجع عن بيعته واعلن كذب هذه الدعوة ، وكان ذلك اعلانا بالحرب بينه وبين ابن عباد الذي جمع جيشه واتجه صوب قرطبة لاسقاطها بالقوة ، وفرض الحصار عليها ، فأمر ابن جهور بسد ابواب المدينة امامه ، ولم يجد القاضي ابن عباد جدوى من الحصار فجمع جيشه وعاد الى اشبيلية ، مرت السنوات وتُوفي القاضي ابن عباد وملك من بعده المعتضد ، كما تُوفي الوزير ابن جهور وملك من بعده ابنه الوزير ابو الوليد محمد بن جهور ، ولكن يبدو ان ابا الوليد آثر الراحة فولى ابنه الاصغر عبد الملك امور قرطبة ، وكانت قرطبة موضع صراع عنيف وسريع بين اشبيلية وطليطلة ، عمت الفوضى ارجاء قرطبة وانفلتت الامور من يد عبد الملك بن جهور ، واعد المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة عدته للهجوم على قرطبة ، وكان المعتمد بن عباد على صداقة مع عبد الملك بن جهور ، ولم يجد عبد الملك بن جهور من يستغيث به سوى حليفه وصديقه المعتمد بن عباد ، وعلى الفور ارسل له المعتمد سرية مكونة من اربعة آلاف عليها قائداه خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين واستطاعوا ان يردوا جيش ابن ذي النون عنها ، لكن المعتمد بن عباد كان ينوي الاستيلاء على قرطبة ، واعطى الاوامر لقائديه بذلك ، كما ان الظروف في قرطبة قد هيأت له امر السيطرة عليها ، اذ كره اهل قرطبة سياسة عبد الملك بن جهور فارسلوا الى القائدين ان يقبضوا على عبد الملك بن جهور وان تكون المدينة في طاعة المعتمد بن عباد ، ودخل الجيش الاشبيلي قرطبة ، واعتقل عبد الملك بن جهور واهله ، واما الشيخ القعيد ابو الوليد بن جهور فقد تم نفيه الى جزيرة شلطيش ، كما تجدد النزاع بين المأمون وبين المعتمد على قرطبة واستتب الامر في النهاية للمعتمد بن عباد

رابعا الصراع بين طليطلة وسرقسطة : كان النزاع على اشده بين المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة وبين سليمان المستعين بن هود صاحب سرقسطة ، وكانت هذه فتنة هوجاء كادت ان تعصف بالمسلمين ، كما تلطخت بالخيانة وموالاة النصارى على بعضهم وتمكينهم من اراضي المسلمين ، على الرغم من ان وادي الحجارة كانت من اعمال طليطلة الا ان سليمان بن هود بعث جيشا اليها عليه ابنه احمد ، ودخلها بتدبير من شيعته ، ودارت بين المأمون واحمد بن هود معارك طاحنة كانت الغلبة فيها لابن هود ، لم يهن المأمون ولم تأخذه الراحة حتى يأخذ بثأره من سليمان بن هود ، فوجد ضالته في الاستعانة بالنصارى على اخيه المسلم ، والتجأ الى فرناندو الاول ملك قشتالة ليستعين به مقابل دفع الجزية له ، فاستجاب فرناندو للطلب ، ولم تمضِ ايام حتى كانت خيول النصارى تعيث فسادا في بلاد سليمان بن هود قتلا ونهبا وسرقة وليس لهم رادع يردعهم ؛ اذ فر سليمان بن هود هو وجنوده وتركوا رعيتهم لسيوف النصارى ، اما ابن هود ذهب هو ايضا ليستعين بالنصارى ؛ فبعث الى فرناندو ملك قشتالة فاستجاب له ، وبعث سراياه فعاثت في اراضي طليطلة فسادا وتخريبا ، ولم ييأس المأمون من المعركة والتمس مساعدة غرسيه ملك نافار ، فأغارت قوات غرسيه على اراضي سرقسطة ، دامت هذه الفترة الهوجاء ثلاث سنوات لم تنته الا بموت سليمان بن هود صاحب سرقسطة وخلفه من بعده ابنه المقتدر بالله احمد بن هود ، كما توفى المأمون بقرطبة وخلفه من بعده حفيده يحيى القادر على طليطلة ، تطورت الاحداث كثيرا في طليطلة وسرقسطة ؛ اذ تصاعد الخطر النصراني في البلاد ، حتى وقعت النكبة وسقطت طليطلة في يد الفونسو في صفر 478هـ ، وعلى الجانب الاخر تُوفي احمد بن هود وخلفه ابنه يوسف المؤتمن ومن بعده ابنه احمد المستعين وخلفه من بعده ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة ، الذي كانت نهاية بني هود على يديه ، فقد دخل المرابطون سرقسطة سنة 503هـ وظلت في ايديهم الى ان سقطت في يد الفونسو الاول ملك ارجوان في رمضان 512هـ .

فرناندو وحرب الاسترداد الاولى : استطاع فرناندو توحيد الجبهة الصليبية بعد ان شهدت نزاعات شديدة فيما بينها ، تمركزت سياسة حرب الاسترداد التي تزعمها فرناندو على اكثر من جهة ، كان يقصد بها اضعاف ملوك الطوائف واخضاعهم لسلطانه وسيطرته ، اما من خلال السيطرة على اراضيهم ، او اضعافهم وارهاقهم بدفع الجزية والاتاوات ، واستطاع مستغلا الصراع والنزاع بين ملوك الطوائف ان يخضع طليطلة واشبيلية وسرقسطة وبطليوس وغيرها من الممالك الضعيفة تحت سيطرته ، توفى فرناندو وخلفه من بعده ابنه الفونسو ملكا على ليون وقشتالة

الفونسو السادس وحرب الاسترداد الثانية : اضحت ملوك الطوائف كلها تحت نير هجمات النصارى والتي انهكت قوى ملوك الطوائف ونتج عنها سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس 478هـ ، ان اشد وانكى ما كان من ملوك الطوائف انهم كانوا يدفعون الجزية للنصارى حتى يحفظوا لهم اماكنهم وبقائهم على الحكم في بلادهم ، كانت سياسة الفونسو تعتمد على شقين ، الاول : ارهاقهم بالغارات المتواصلة ، والثاني : ارهاقهم بالجزية والاتاوات ، بعد ان استطاع الفونسو اسقاط طليطلة كانت خطوته التالية اخضاع اشبيلية لسلطانه ، فرض الفونسو حصاره على اشبيلية بعد ان خرب اعمالها حرقا ونهبا ، ثم بعث برسالة للمعتمد بن عباد ، وهي رسالة ملؤها الوعيد والانتقام ، فبعث له المعتمد بن عباد رسالة لوح له فيها بالاستغاثه بالمرابطين ، وكان الفونسو يعلم جيدا من هم المرابطون ، فما كان منه الا ان اخذ جيشه وانصرف وفض حصار اشبيلية

سقوط طليطلة : تعرضت مدينة طليطلة لهجمات كثيرة من النصارى في عهد فرناندو الاول وابنه الفونسو السادس ، وكان النصارى على علم بأن طليطلة واسطة العقد في بلاد الأندلس ، فلو سقطت فمن المؤكد سقوط بقية مدن الطوائف ، كان القادر بالله صاحب طليطلة في ذلك الوقت سيئ الرأي ، فاسد الخلق ، فانهالت عليه الثورات والهموم من كل جانب ، فحاول ان يجد له عونا ونصيرا امام تلك المتاعب والهموم ، فالتجأ الى الفونسو السادس فوافق الفونسو مقابل ان يتنازل له عن بعض الحصون ، بالاضافة الى الاموال الباهظة التي اشترط عليها ، فوافق القادر ، الواقع ان الفونسو قد اعد عدته للقضاء على طليطلة ، ووضع خطته العسكرية التي تمهد لمشروعه الواسع في السيطرة على ممالك الطوائف كلها ، فلما رأى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية استفحال الفونسو وقوته ، خشى على نفسه من ان ينساب تيار الغزو القشتالي الى مملكته ، فرأى ان يعقد مهادنة وصلحا مع الفونسو يأمن بها على اراضيه ، وتمت المعاهدة والاتفاق على ما يلي : يؤدي المعتمد للملك القشتالي الجزية سنويا ، لا يعترض المعتمد على مشروع الفونسو القاضي بالاستيلاء على طليطلة ، وفي شوال 474هـ ضرب الفونسو الحصار على طليطلة ، وظل على ذلك اربع سنوات كاملة ، ولما طال الحصار واستحكم على المسلمين وضاق بهم ، ارسلوا جماعة من زعمائهم الى الفونسو تتحدث عن الصلح والمهادنة ، لكن الفونسو رفض الصلح ، فتحطمت كل الآمال المرجوة في الصلح والهدنة ، وهكذا عرضت المدينة التسليم ، وكان من شروط التسليم : أن يؤمن اهل المدينة على انفسهم واموالهم ، أن يؤدوا الجزية لملك قشتالة ، أن يحتفظ المسلمون بمسجدهم الجامع وان يتمتعوا بالحرية التامة في اقامة شعائرهم وشريعتهم ، وفي صفر 478هـ دخل الفونسو ملك قشتالة طليطلة ، وغدت عاصمة للنصرانية وحاضرة لملك قشتالة ، وعلى إثر سقوط طليطلة ، بدأ الفونسو يعد عدته ويتجهز للهجوم على الممالك الأخرى ، حتى ما كان من فكرة الاستنجاد بالمرابطين ، واجتمعت الحواضر الكبرى في الاندلس على استدعاء المرابطين ، وتقدمت الوفود تلو الوفود الى المغرب العربي مستنجدين بهم .

عصر المرابطين (484:539هـ)

كانت رسالة المعتمد الى الفونسو التي اثارت الرعب والفزع في قلبه بمجرد ان قرأها ، فأخذ جيشه وعاد الى قشتالة ، كانت تلك الرسالة هي مهد ذلك العهد وبداية تلك الدورة الجديدة ، ولكن تُرى , من هم المرابطون ؟ .. إنهم أبطال مجاهدون يهدفون الى نشر دين الله في بلاد لم يدخلها الاسلام قط وتكوين دولة اسلامية قوية ، لا يهابون الموت ، اقاموا دولة اسلامية امتلكت كل مقومات القوة ، تربعت على المغرب العربي وما تحته ، اسسها الشيخ عبد الله بن ياسين ، واتسعت في عهد يوسف بن تاشفين فصارت تضم السنغال وموريتانيا وبلاد المغرب العربي باكملها ، ووصل عدد جيوشهم الى مائة الف فارس غير الرجّالة ، يرفعون راية واحدة ويحملون اسم المرابطين [انظر ملحق 1] ، في عام 478هـ سقطت طليطلة ، ومنذ سقوطها في ذلك التاريخ لم تَعُد الى المسلمين ، وكان ما كان من فكرة الاستغاثة بالمرابطين ، كان يوسف بن تاشفين يستقبل الوفود من ملوك الطوائف يطلبون منه العون والمساعدة في وقف وصد هجمات النصارى عليهم ، فأعد العدة وجهز السفن وعبر مضيق جبل طارق ودخل ارض الاندلس ، ثم قصد الى بطليوس حيث كانت على مقربة من الزلاقة التي قد نزلها الفونسو السادس ، وبدأ يلحق بركب يوسف بن تاشفين المجاهدون المتطوعة من قرطبة واشبيلية وبطليوس ، حتى وصل عدد الجيش الاسلامي الى قرابة ثلاثين الف رجل ، واتجهوا الى الزلاقة ، ذلك المكان الذي دارت فيه موقعة من اشهر المواقع التاريخية في الاسلام

معركة الزلاقة 497هـ : استعد النصارى لقدوم يوسف بن تاشفين فجمعوا عددا ضخما من المقاتلين ، بلغ عددهم نحو ثلاثمائة الف مقاتل ، على رأسهم الفونسو السادس بعد ان جاءه العون من الممالك النصرانية في فرنسا وايطاليا وغيرها ، وفي محاولة لخداع المسلمين ارسل الفونسو السادس يحدد يوم المعركة ، على ان يكون القتال يوم الاثنين ، تسلم يوسف بن تاشفين الرسالة وكاد ان ينخدع بها ، الا ان المعتمد بن عباد فهم الخديعة ونبه يوسف بن تاشفين الى ما قد يكون فيها من الغدر ، بعد ترتيب الجيش في فجر يوم الجمعة 12 رجب 479هـ نقض الفونسو عهده ، وبدأ بالهجوم في ذلك اليوم ، صُدم الجيش الاسلامي وفوجئ بالفعل ، وكان الجيش الاسلامي مقسم الى ثلاث فرق رئيسية ، الاولى تضم الجيش الاندلسي وعلى رأسه المعتمد بن عباد ومعه ملوك الطوائف ، الثانية فرقة جيش المرابطين وعلى رأسهم داود بن عائشة ، الثالثة جيش المرابطين الرئيسي بقيادة يوسف بن تاشفين ، هجم الفونسو السادس بجيشه على الجيش الاندلسي والجيش الثاني المرابطي بقيادة داود بن عائشة ، وكاد جيش المسلمين ان يُهزم ، وهنا بدأ تحرك الجيش المرابطي الرئيسي بقيادة ابن تاشفين ، وذلك بعد ان أُنهكت قوى الطرفين من المسلمين والنصارى ، حين علم النصارى ان المسلمين من ورائهم وانهم محاصرون ارتاعت قلوبهم وتجلجلت افئدتهم ، وهكذا حوصر جيش النصارى بين الجيش الاندلسي من الامام وجيش المرابطين من الخلف ، وبالفعل بدأ الاضطراب والتراجع بين صفوف النصارى ، فالتف النصارى حول الفونسو السادس يحمونه ، ثم حدثت خلخلة عظيمة في جيشهم ، وقد نجا من جيش الفونسو اقل من الثلاثين ، في حين استشهد من المسلمين حوالي ثلاثة آلاف رجل ، وبذلك كانت الزلاقة دون مبالغة كاليرموك والقادسية ، وما ان تنتهي احداث الزلاقة حتى يصل الى ابن تاشفين نبأ مفزع ، فابنه الاكبر قد مات ، فيعجل هذا برجوع ابن تاشفين الى المغرب ، يعود يوسف بن تاشفين الى بلاد المغرب بعد ان جمع ملوك الطوائف واطرح التنابذ والتخاصم بينهم ، عاد يوسف بن تاشفين وعمره آنذاك تسع وسبعون سنة .

ظل الصراع بين المسلمين والنصارى قائما بل وصلت الاحوال الى ان سقطت بلنسية في يد النصارى ، وكذلك لم تنته الصراعات بين ملوك الطوائف ، فاستغاث الناس بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين للمرة الثانية ، ويتكرر ما حدث في العبور الاول وهزيمة النصارى في اكثر من موقعة ، ثم تكررت هذه الاحوال للمرة الثالثة ، فعبر ابن تاشفين الى الاندلس مرة ثالثة فجهز جيوشه ودخل الاندلس ، منذ ان انتهى من الجهاد في المرة الثانية ، ثبت له بقاء حال امراء الطوائف على ما هم عليه من تفرق وتخاذل واستدعاء النصارى ، عندئذٍ اعتزم ابن تاشفين على افتتاح ممالك الطوائف ، واخذ يستولي عليها تباعا ، وارسل الى بغداد طلبا للخليفة ليحصل على كتاب منه بتوليته المغرب والاندلس ، وكان يهمه ان يحصل على سند شرعي يبرر تصرفه نحو اولئك الامراء ، عاد رسول ابن تاشفين وهو يحمل رسالتين رسالة من ابو حامد الغزالي قطب فقهاء المشرق يومئذٍ ، ورسالة من الطرطوشي ، وكذلك مرسوم الخليفة المستظهر الى عاهل المرابطين ، استعرت النار بين ملوك الطوائف ومنهم المعتمد بن عباد وبين المرابطين ، انتهت بضم كل ممالك الاندلس الى المرابطين ، واصبح يوسف بن تاشفين اميرا على ممالك الاندلس حتى وسط افريقيا ، واصبحت دولة واحدة اسمها دولة المرابطين ، توفى يوسف بن تاشفين 500هـ وكان قد وفَّى تمام المائة ، حاول المرابطون بعد دخولهم الاندلس تحرير الاراضي الاندلسية التي أُخذت من المسلمين ، كما حاولوا كثيرا تحرير طليطلة لكنهم فشلوا في هذا الامر .

موقعة أُقليش 501هـ : بعد موت يوسف بن تاشفين تدور واحدة من اضخم المواقع بين المسلمين والنصارى سُميت بموقعة أُقليش ، وقد تولى القيادة فيها على المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين ، وكان هذا في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي تولى خلفا لأبيه ، وتولى قيادة الصليبيين سانشو بن الفونسو السادس ، وانتصر المسلمون فيها انتصارا ساحقا وقُتل فيها سانشو بن الفونسو ، حزن الفونسو على وحيده سانشو حزنا شديدا حتى مات بعدها بعشرين يوما .

وكان من اشهر العلماء في عهد علي بن يوسف القاضي ابو بكر ابن العربي وعياض بن موسى بن عياض القاضي وغيرهم ...

المرابطون .. الضعف ثم الانهيار : كدورة طبيعية من دورات التاريخ ، كانت هناك شواهد بينة لانكسار وتراجع دولة المرابطين ، منها : انحراف نظام الحكم عن نظام الشورى إلى الوراثي الذي سبّب نزاعًا عنيفًا على منصب ولاية العهد بين أولاد علي بن يوسف، الضيق الفكرى الذي أصاب فقهاء المرابطين وحجرهم على أفكار النَّاس، ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده ، مرور الاندلس بأزمة اقتصادية حادة؛ نتيجة لانحباس المطر عدة سنوات، وحلول الجفاف والقحط بالأندلس والمغرب، وزاد من حدة الأزمة الاقتصادية أن أسراب الجراد هاجمت ما بقي من الأخضر على وجه البلاد؛ مما هيأ الظروف لانتشار مختلف الأوبئة بين كثير مِن السكان ، احراق علي بن يوسف بن تاشفين كتب ابي حامد الغزالي باعتبارها تخالف الاسلام الصحيح ، وهو الامام الذي لقب بحجة الاسلام وسيد فقهاء المشرق ، وهو الذي افتى ليوسف بن تاشفين بحكم الشرع في ملوك الطوائف ، وقد سبق واعقب هذه الاحداث التي وقعت في بلاد المرابطين هزائم متعددة من قِبل النصارى التي مُني فيها المسلمون بالهزيمة المنكرة .

عصر الموحدين (539:620هـ)

كانت دولة المرابطين تتجه بقوة نحو الهاوية ، وفي عام 512هـ قام رجل من القبائل البربرية يدعى محمد بن تومرت بالثورة على المرابطين ، وكان محمد بن تومرت صاحب منهج في الاصلاح والتغيير مختلف بالكلية عن منهج الشيخ عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين ، سمع علي بن يوسف بن تاشفين بمحمد بن تومرت ، وفكر في عقد مناظره بينه وبين علماء المرابطين يكون مقرها قصر الخليفة نفسه ، وبدأ الفريقان في المناظرة ، وفي هذه المناظرة تفوق محمد بن تومرت على علماء دولة المرابطين تفوقا ملحوظا ، وما ان خرج محمد بن تومرت من مجلس الامير علي بن يوسف بن تاشفين حتى نزل عند صديق له في بلد مجاور ، وذهبوا الى قرية اسمها تينملل ، وهي التي ستكون عاصمة دولة الموحدين بعد ذلك ، وبمجرد ان قويت شوكة محمد بن تومرت ظهرت عليه انحرافات عقائدية خطيرة ، منها : **1. ادعى العصمة** : فالعصمة كانت للانبياء والرسل فقط ، والاعتراف بعصمته او بعصمة غيره يوجب الايمان بكل ما يقوله ، فقد اعطاه ذلك معنى النبوة ان لم يعطه لفظها ، **2. ادعى ان المرابطين من المجسمة** : فقد قال بكفر المرابطين ومن يعمل تحت حكمهم ومن يرضى بحكمهم فهو من الكافرين ، **3. استحل دم المرابطين** : فقد كان ابن تومرت يهدف الى هدم دولة المرابطين وبناء دولة الموحدين على انقاضها مهما كلفه ذلك ، فاستباح الدماء والارواح والاموال ، **4. ادعاؤه انه هو المهدي المنتظر** ، امر محمد بن تومرت مقاتلة المرابطين وسفك دمائهم ، واستطاع ان يتحصن في تينملل ، وان يخرج منها الجيوش التي تفتك بدولة المرابطين ، واستطاع ان يوسع الأرض من حوله ، وخاض مع المرابطين مواقع عديدة ، انتصر في سبع منها وهُزم في اثنين ، ما لبث ان توفى ابن تومرت ، تاركا اصحابه بعد ان امر عليهم عبد المؤمن بن علي ، استطاع عبد المؤمن ان يكمل مسيرة ابن تومرت فقضى على دولة المرابطين ، وفتح المغربين الاوسط والاقصى في الفترة من بين (538:541) ، وفي هذه السنة سقطت مراكش في ايدي الموحدين وانتهى عصر المرابطين ، قامت دولة الموحدين على أشلاء الآلاف من المسلمين ، وسموا بالموحدين لانهم يعتقدون انهم هم المؤمنون حقا الذين يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه بالخلق ، كان لهذه الاحداث تداعيات عظيمة على بلاد المغرب العربي والاندلس ، وما يهمنا هنا هو ما حدث في الاندلس ، فكان منها : سقوط ألمرية وطرطوشة ثم لاردة في ايدي النصارى ، ثم توسعت مملكة البرتغال في الجنوب وكانت من اشد الممالك ضراوة وحربا على المسلمين ، وبدأ النصارى يتخطون حدود الأندلس ويهاجمون حدود المغرب العربي ، فاحتُلت تونس من قبل النصارى .

عصر القوة في دولة الموحدين : بعد تساقط المرابطين امام الموحدين ، تبعهم الموحدون في الاندلس ، واستولوا على المدن الاندلسية التي كانت في يد المرابطين ، انطلق عبد المؤمن بن علي يحارب القوات الصليبية حتى استطاع ان يضم ألمرية واستعادة تونس من النصارى ، واستطاع ان يضم ليبيا الى دولة الموحدين ، تُوُفي عبد المؤمن بن علي عام 558هـ وخلفه ابنه يوسف بن عبد المؤمن ، وكان من اشهر علماء الاندلس في عهده ابن العوام الاشبيلي الذي اهتم بالفلاحة وصنفها علما كاملا ، وابن الطفيل الفيلسوف الشهير صاحب كتاب رسالة حي بني يقظان ، وبعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن خلفه ابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ولُقب بالمنصور وهو من اسس مدينة الرباط وسماها رباط الفتح ، واقام بها المستشفى الكبير ، قد تولى ابو يوسف يعقوب المنصور خمس عشرة سنة متصلة ، وكان أقوى شخصية في تاريخ دولة الموحدين ، ومن اعظم الشخصيات في تاريخ المسلمين بصفة عامة ، وقد عُد عصره في دولة الموحدين بالعصر الذهبي .

معركة الأراك 591هـ : كان اشد خطرين على ابو يوسف يعقوب المنصور في الاندلس هما قوة قشتالة وقوة البرتغال ، فاخذ يفكر في كيفية ايقاف اطماع النصارى في الاندلس ، لكنه استقبل رسالة من ملك قشتالة يسعى فيها الى الصلح والمهادنة ، فقبل مسالمته ، وبعد اقل من خمس سنوات بعث الفونسو الثامن الى جميع الثغور الاسلامية ينذر بانتهاء الهدنة ، ثم بعث بقادته الى مختلف انحاء الاندلس يغيرون عليها ويثخنون فيها ، وفي شعبان 591هـ ، وعند حصن الأراك الكبير التقت الجيوش الاسلامية مع جيوش النصارى ، احتدم القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على النصارى وانتصر فيها المسلمون انتصارا ساحقا ، طارت اخبار النصر في كل مكان ، بل وصلت الاخبار الى المشرق الاسلامي ، وكانت سعادة لا توصف ؛ خاصة وانها بعد ثمانية أعوام فقط من انتصار حطين العظيم ، وكانت من نتائج انتصار الأراك : **1.الهزيمة الساحقة لقوات النصارى** ، **2. النصر المادي** : فقد حصد المسلمون من الغنائم ما لا يُحصى ، **3. النصر المعنوي** : فقد ملأ قلوب المسلمين نصرا معنويا كبيرا في مشارق الارض ومغاربها ، **4. صراعات شتى بين ممالك النصارى** ، **5. معاهدة جديدة بين قشتالة والمسلمين** : فقد تمت معاهدة جديدة بين قشتالة والمسلمين على الهدنة ووقف القتال مدة عشر سنوات .

كان من اشهر العلماء في عهد يعقوب المنصور : **ابن رشد الحفيد** فيلسوف وفلكي وطبيب ، شرح كتب ارسطو وبسطها ، لكن حرمت كتبه وأحرقت على مرأى ومسمع منه ، وكان من اشهر علماءه ايضا **الامام الشاطبي** ، ذلك الامام الفاضل ، العالم العامل ، القدوة ، سيد القراء .

معركة العقاب : توفي المنصور 595هـ وتولى من بعده ابنه الناصر لدين الله ابو محمد عبد الله ، لم ينسَ النصارى هزيمتهم في موقعة الأراك ، وأرادوا ان يعيدوا الكرة من جديد على بلاد المسلمين ، فعمل الفونسو السادس على تجهيز العدة ورد الاعتبار ، وقبل انتهاء الهدنة ومخالفةً للمعاهدة ، هجم الفونسو على بلاد المسلمين ، فنهب القرى وقتل المسلمين ، وكانت هذه بداية حرب جديدة ضد المسلمين ، فجاءه المتطوعون من الممالك النصرانية في فرنسا والمانيا وانجلترا وايطاليا ، وبلغ عدد الجيوش نحو مائتي الف نصراني ، وجمع الناصر لدين الله المجاهدين من بلاد المغرب العربي والاندلس ، وقد بلغ عدد الجيش كما تقول بعض الرويات نحو نصف مليون محارب ، دخل الناصر لدين الله الموقعة وهو يعتقد انه لا محالة منتصر ؛ فجيشه اضعاف الجيش المقابل ، لكن الناصر لم يكن بارعا في القيادة وحسن التدبير في الحروب ، فدارت الدائرة عليه وهُزم المسلمون هزيمة ساحقة ، وفر الناصر من ارض الموقعة ومع فلول الجيش المنهزم ، ولم يمكث الناصر في المدينة التي تلي مباشرة مدينة العقاب وهي مدينة بياسة ، بل فر وترك بياسة ، ثم ترك أُبذة ، ترك كليهما بلا حامية وانطلق الى اشبيلية ، وما زالت قوى النصارى في عظمها .

تساقط ممالك الاندلس : في سنة 625هـ استقل رجل يُسمى ابن هود بشرق وجنوب الاندلس ، وكان مفرطا في الجهل ، ضعيف الرأي ، لم يُنصر له على النصارى جيش ، وفي سنة 633هـ حدث حادث خطير ومروع ، فقد سقطت قرطبة حاضرة الاسلام ، سقطت قرطبة عاصمة الخلافة لاكثر من خمسمائة عام ، سقطت قرطبة صاحبة اكبر مسجد في العالم ، سقطت جوهرة العالم قرطبة ، وفي يوم سقوطها تحول مسجدها الجامع الكبير الى كنيسة ، وما زالت هذه الكنيسة قائمة الى اليوم ، وفي سنة 635هـ استقل بنو الاحمر بغرناطة بعد موت ابن هود ، وفي سنة 636هـ سقطت بلنسية ، وفي سنة 641هـ سقطت دانية ، وفي سنة 643هـ سقطت جيّان ، وهكذا لم يتبقَ في الاندلس الا ولايتان فقط ؛ ولاية غرناطة ، وولاية اشبيلية ، تمثلان حوالي ربع بلاد الاندلس ، هذا مع الاخذ في الاعتبار ان كل ولايات افريقيا قد استقلت عن دولة الموحدين ، فسقطت بذلك الدولة المهيبة مترامية الأطراف .

مملكة غرناطة وسقوط الأندلس

في عام 643هـ ، وحماية لحقوق وواجبات مملكة قشتالة النصرانية ، يأتي فرناندو الثالث ملك قشتالة ويعقد معاهدة مع ابن الاحمر والي غرناطة يضمن له فيها الحقوق ويأخذ عليه بعض الشروط والواجبات ، وكانت من بنود المعاهدة : يدفع ابن الاحمر الجزية الى ملك قشتالة وكانت مائة وخمسين الف دينار سنويا ، ان يحكم غرناطة باسم ملك قشتالة علانية ، ان يسلمه ما بقي من حصون جيان وأرجونة ، ان يساعد ابن الاحمر فرناندو في حروبه ضد اعدائه اذا احتاج الى ذلك... وفي جمادي الاولى سنة 645هـ يتحرك الجيش الغرناطي مع الجيش القشتالي ويحاصرون اشبيلية طيلة سبعة عشر شهرا كاملا ، يستغيث فيها اهل اشبيلية بكل من حولهم ، لكن , هل يسمع من به صمم ؟! ، وفي رمضان 646هـ تسقط اشبيلية بايدي النصارى بمعاونة المسلمين ، سقطت اشبيلية ثاني اكبر مدينة في الاندلس ، ويهجر ويشرد منها اربعمائة الف مسلم ، ويتحول مسجدها الكبير الذي اسسه يعقوب المنصور الموحدي الى كنيسة يُعلق فيها الصلبان ، ولم يتبقَ الا ولاية غرناطة التي كانت تمثل 15% فقط من بلاد الاندلس .. ، وعلى الرغم من وجود معاهدة بين ملك قشتالة وابن الاحمر ، الا انه بين الحين والآخر كان القشتاليون يخونون العهد مع ابن الاحمر ، فكانوا يتهجمون على بعض المدن ويحتلونها ، ويحاول ابن الاحمر ان يسترد هذه البلاد فلا يفلح ، ولما تفاقم عدوان القشتاليين وضغطهم وجد ابن الاحمر نفسه في مأزق ، وحينها فقط علم انه عاهد من لا عهد له ، فبعث ابن الاحمر الى ابي يوسف يعقوب المريني ملك المغرب يطلب منه الغوث والنجدة ، ونصرة اخوانه المسلمين فيما وراء البحر .

دولة بني مرين : بنو مرين فرع من قبيلة زناتة الامازيغية (البربرية) الشهيرة في بلاد المغرب العربي ، ولما رأوا من آلت اليه أحوال الموحدين من التهاون والخلود للراحة بعد موقعة العقاب ، ولما رأوا الارض طيبة المنبت خصيبة المرعى ، دفعهم ذلك الى ترك القفار والاستقرار في البلاد ، ولما رأى الموحدون ذلك أرسلوا جيوشا للنيل منهم ، ودارت بينهم معارك شديدة وكانت الحرب تدور سجالا بين الفريقين ، ثم جاءت سنة 667هـ ، وفيها كانت المعركة الحاسمة بين المرينيين والموحدين ، احتدم القتال بين الفريقان ، وانتهت بانتصار بنو مرين ، فساروا الى مراكش ، فدخلها يعقوب المنصور المريني بجيشه وتسمى بأمير المسلمين ، وبذلك انتهت دولة الموحدين بعد ان دامت حوالي قرن ونصف من الزمان ، وقامت دولة بني مرين التي سيطرت على المغرب الاقصى كله ، فلما استعان محمد بن الاحمر الاول بيعقوب المنصور المريني ما كان منه الا ان اعد العدة بالفعل وقام بصد هجوم النصارى على غرناطة ، في سنة 671هـ يموت محمد بن الاحمر وقد استخلف على الحكم ابنه محمد الفقيه ، ولما مات محمد بن الاحمر ظن الفونسو ان قوة المسلمين تتهاوى ، واسرع بمخالفة العهد بالهجوم على غرناطة ، فما كان من محمد الفقيه الا انه استعان بيعقوب المنصور المريني ، وهناك خارج غرناطة بالقرب من قرطبة دارت معركة بين المسلمين والنصارى تسمى موقعة الدونونية هُزم فيها النصارى وقُتل قائدهم دون نونيو ، وبعد ثلاث سنوات من الموقعة حاصر المسلمون اشبيلية وقرطبة حتى رضخت له على الجزية ، في عام 685هـ يموت المنصور المريني بعد ان خلف على امارة بني مرين ابنه يوسف بن المنصور ، وفي هذه الاثناء ارسل الفونسو الى ابن الاحمر يخوفه من السلطان المريني على ملكه ، ويسأله محالفته حتى يتمكنوا من منع بني مرين من العبور للاندلس ثانية ، وذلك عن طريق الاستيلاء على جزيرة طريف ، فوافق على التحالف مع النصارى على ان يأخذ هو جزيرة طريف ، فان يوسف بن المنصور كان يخشى ان يحدث مثل ما حدث مع ابن تاشفين ويستولي بنو مرين على ملكه في الاندلس ؛ لذلك وافق على التعاون مع النصارى ، وبعد حصار شديد على جزيرة طريف دانت للنصارى واستولوا عليها ولم يعيدوها اليه ، وفي سنة 709هـ زحف النصارى بجيوشهم نحو جبل طارق حتى سقط في أيديهم ، فعُزلت الاندلس عن بلاد المغرب ، وتركت غرناطة لمصيرها المحتوم .

طيلة ما يقرب من مائتي عام (897:709هـ) ظل الحال كما هو عليه في غرناطة ولم تسقط ، وكان السبب الرئيسي في ذلك هو وجود صراع كبير بين مملكة قشتالة ومملكة ارجوان ، كانت غرناطة تتردد بين القوة والضعف ، بين الهزيمة والثبات ، لكنها استطاعت ان تسير في الموكب الحضاري على قدر ما أوتيت من امكانيات ، فأنشئت المدارس ومعاهد العلم في كل ناحية ، وازدهرت الصناعات والاختراعات المختلفة ، ثم الجانب العمراني المتمثل في المباني المختلفة كالمساجد والقصور والدور والقناطر ، وقصر الحمراء الذي شيده باديس بن حبوس والذي ما زال باقيا حتى الآن ، وقد غدت غرناطة في وقتها من اجمل مدن العالم ، وكانت تضم حوالي مليون نفس ، وتصدر كثيرا من الصناعات الى عدة بلدان ، وكان من علماء الحياة في غرناطة : الشريف الادريسي : مؤرخ ومن اكابر العلماء في الجغرافيا ، ويعتبر عمدة الجغرافيين المسلمين وقد صمم خريطة للعالم هي الادق والاقرب حتى وقت قريب ، ومن اشهر العلماء ايضا ابن بطوطة : الذي يعد اشهر رحالة عربي في القرن الرابع عشر الميلادي دون منازع ؛ حيث قضى 28 عاما مرتحلا بين اجزاء العالم المعروفة ايامه ، ومن اشهر العلماء ايضا ابن البناء المراكشي الذي برز في الرياضيات والفلك والطب وصاحب كتاب تلخيص اعمال الحساب الذي يُعد المرجع الاساسي في علم الحساب في اوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي ... وفي عام 874هـ تزوج فوناندو الخامس ملك ارجوان من ايزابيلا وريثة عرش قشتالة فاتحدت المملكتان النصرانيتان قشتالة وارجوان في مملكة واحدة وهي مملكة إسبانيا ، بعد ان كانتا مملكتين متخاصمتين تحارب كل منهما الاخرى ، وكان من اهم اهدافهما هو القضاء على الاسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وكانت هذه بداية النهاية لغرناطة ، وفي هذه الاثناء كان يحكم غرناطة مولاى علي ابو الحسن ، فرأى ان يبادئ النصارى بالحرب قبل ان يناجزوه فامتنع عن دفع الاتاوة لهم ، ودارت معارك أُسر في احداها ابو عبد الله بن ابي الحسن ، ثم أُطلق سراحه فعاد الى غرناطة ليشن على ابيه حربا شديدة ، ثم ما لبث ان مات ابو الحسن هما وكمدا ، ثم حدث صراع بين ابو عبد الله بن ابي الحسن الملقب بالغالب بالله والذي سماه الاسبان الصغير ، وبين عمه ابو عبد الله محمد الملقب بالزغل ، وقامت على اثر ذلك حروب انتهت بتولي الغالب بالله حكم غرناطة ، وفي عام 895هـ ارسل الملكان الكاثوليكيان الى السلطان ابي عبد الله سفارة لتخاطبه في موضوع التسليم ، لكن ابي عبد الله رفض التسليم ، وكانت فكرة التسليم للعدو تلقي استنكارا عاما ، وما ان علم ملك قشتالة بهذا ذهب الى غرناطة وحاصرها ، فحاربه المسلمون وعاد بفضل الله الى بلاده خائبا خاسرا ، ثم عاد الطاغية لمحاصرة غرناطة ، ورده الله دون ان ينال منها شيئا ، وفي عام 897هـ عاد للمرة الثالثة وكله تصميم الا يرحل عن غرناطة الا بعد فتحها ، فخرج بجيش قوامه 50.000 وحاصر المدينة وبنى امامها مدينة سماها الايمان المقدس ، ظل المسلمون محاصرون داخل غرناطة لا يمكنهم الحصول على الامدادات ، فقل الطعام في الاسواق واشتد الغلاء وادرك الجوع كثيرا من الناس ، وهنا لم يكن امام الغرناطيين الا التسليم بأمان فذهب جمع منهم الى ملكهم محمد الصغير طالبين منهم ان يفاوضوا ملك قشتالة على التسليم بأمان ، ثم سارع بدوره الى ملك قشتالة الذي سارع بالقبول ، وثم من رجاء ذلك انطلق موسى بن ابي غسان يقابل سرية من سرايا النصارى ويقتل منهم خمس عشرة رجلا ثم قُتل في سبيل الله ، وكان مقتل موسى بن ابي غسان وتسليم محمد الصغير غرناطة ايذانا بانتهاء عصر الاسلام في الاندلس

شروط التسليم : كانت شروط التسليم سبعة وستين شرطا ، منها : تأمين المسلمين على انفسهم واهلهم واموالهم ، اقامة الناس شريعتهم على ما كانت عليه ، ان تبقى المساجد كما كانت ، لا يقهر احد على ترك دينه ، أن يسير المسلم في بلاد النصارى آمنا على نفسه وماله ، ... فوافق المسلمون على هذه الشروط ولم يكن امامهم خيار آخر ، ثم هاجر ابو عبد الله الى المغرب ونزل بفاس حيث كان يعيش هو وابناؤه على سؤال المحسنين ..

في سنة 1051م اصدر الملكان الكاثوليكيان امرا بتطهير غرناطة من الكفرة (المسلمين) وحظر وجودهم فيها ، وعلى هذا المنطق قام النصارى بعدة امور منها : التنصير : فكان من شروط بقاء العرب في الاندلس التنصير ، وحتى هؤلاء لم يتركوهم دون اهانة ، وقد سموهم بالمورسكيين احتقارا لهم ، وفي عام 920هـ صدرت الاوامر باجبار المسلمين على اعتناق الكاثوليكية ، ومن أبى فعليه الخروج من اسبانيا ، ثم صدر مرسوم آخر بنفي كل المتنصرين الى بلاد البربر ، ولم يأت عام 1018هـ الا واسبانيا خالية تماما من العرب ، ولكن قبيل ذلك كان قد

أنشأ الاسبان ما سُمي بـ محاكم التفتيش ؛ وذلك للبحث عن المسلمين الذين ادعوا النصرانية وأخفوا الاسلام ، فكانوا اذا وجدوا رجلا يصلي او في بيته مصحف أقاموا عليه حدودا غليظة ، فكانوا يملأون بطونهم بالماء حتى الاختناق ، وكانوا يضعون في اجسادهم أسياخا محمية ، وكانوا يسحقون عظامهم بآلات ضاغطة ، وكان لهم توابيت مغلقة بها مسامير حديدية ضخمة تنغرس في جسم المعذب تدريجيا ، وكانوا ايضا يدفنوهم احياء ، ويجلدونهم بسياط من حديد شائك ، وكانوا يقطعون اللسان بآلات خاصة ، وكانوا يستخدمون لذلك آلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشري ، كانوا يبدءون بسحق عظام الارجل ، ثم عظام الرأس واليدين تدريجيا ، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، وكانوا يستخدمون ايضا توابيت تُبت فيها سكاكين حادة يلقون فيها الشاب المعذب ، فاذا أُغلق بابه مُزق جسم المعذب وقُطع اربا اربا ، وكلاليب تغرز في لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها ليقص قطعة قطعة ، وكلاليب تغرس في أثداء النساء وتسحب بعنف ، حتى تقطع الأثداء او تبتر بالسكاكين ، وايضا سياط من الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم ... وبعد مرور اربعة قرون على سقوط الأندلس، ارسل نابليون حملته الى اسبانيا وأصدر مرسوما سنة 1808م بالغاء دواوين التفتيش في المملكة الاسبانية... ، ومن هنا قد انطوت صفحة عريضة خسر العالم بسببها الكثير والكثير ، فقد اندثرت حضارة ما عرفت اوروبا مثلها من قبل ، انها حضارة الدنيا والدين ، وقد ارتفع علم النصرانية فوق صرح الاسلام ، وأفل والى الآن نجم دولة الاسلام في بلاد الاندلس .

ملاحق

المرابطون

قبيلة جُدَالة وأصل المرابطين: في سنة 440 هـ= 1048 م في أعماق صحراء موريتانيا ، وبالتحديد في الجنوب القاحل، حيث الصحراء الممتدة، والجدب المقفر، والحرّ الشديد، وحيث أناس لا يتقنون الزراعة ويعيشون على البداوة في هذه المناطق كانت تعيش قبائل البربر، ومن قبائل البربر الكبيرة كانت قبيلة "صنهاجة"، وكانت قبيلتي "جُدَالَة ولَمْتُونة" أكبر فرعين في "صنهاجة"... كانت "جُدَالة" تقطن جنوب موريتانيا، وكانت قد دخلت في الإسلام منذ قرون، وكان على رأس جدالة رئيسهم يحيى بن إبراهيم الجدالي، وكان لهذا الرجل فطرة سوّية وأخلاق حَسَنة. نظر يحيى بن إبراهيم في قبيلته فوجد أمورًا عجيبة ، وجد الناس وقد أدمنوا الخمور، وأَلِفوا الزنى، حتى إن الرجل ليزني بحليلة جاره ولا يعترض جاره ، كان يحيى بن إبراهيم الجُدالي صاحب الفطرة النقيّة يعلم أن كلّ ما يفعله قومه من المنكرات، لكنه لم يكن بمقدوره التغيير؛ فالشعب كله في ضلال وعمى، وبعيد كل البعد عن الدين، كما أن الرجل نفسه لا يملك من العلم ما يستطيع به أن يغيّر الناس. وبعد حيْرة وتفكّر هداه ربُّه لأن يذهب إلى الحج، ثم وهو في طريق عودته يُعرّج على حاضرة الإسلام في المنطقة وهي مدينة القيروان ، فيكلّم علماءَها المشهورين بالعلم لعلّ واحدًا منهم أن يأتي معه فيُعلّم قبيلته الإسلام ، وبالفعل ذهب إلى الحج وفي طريق عودته ذهب إلى القيروان، وقابل هناك أبا عمران موسى بن عيسى الفاسي ، وهو شيخ المالكية في مدينة القيروان ، فلما التقى به يحيى بن إبراهيم الجدالي حكى له قصته وسأله عن الدواء، فما كان من أبي عمران الفاسي إلا أن أرسل معه شيخًا جليلًا يعلّم النّاس أمور دينهم ، كان هذا الشيخ هو عبد الله بن ياسين ، اتّجه الشيخ عبد الله بن ياسين صَوْب الصحراء الكبرى، مخترقًا جنوب الجزائر وشمال موريتانيا حتى وصل إلى الجنوب منها، حيث قبيلة جُدَالة، وحيث الأرض المجدِبة والحرّ الشديد، وفي أناةٍ شديدة، وبعد ما هالَه أمر الناس في ارتكاب المنكرات أمام بعضهم البعض ولا ينكر عليهم منكر، بدأ يعلم الناس، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، كان الناس في جهل مطبق وبعدٍ تام عن الإسلام ، ولكن ـ وللأسف ـ ثار عليه أصحاب المصالح بل وثار عليه الشعب أيضًا، فالكل يريد أن يعيش في شهواته وملذاته ودون قيد أو شرط، وأصحاب المصالح هم أكبر مستفيد مما يحدث، فبدأ الناس يجادلونه ويصدّونه عما يفعل، ولم يستطع يحيى بن إبراهيم الجُدالي زعيم القبيلة أن يحميه، وذلك لأن الشعب كان لا يعرف الفضيلة، وفي ذات الوقت كان رافضًا للتغيير، ولو أصر يحيى بن إبراهيم الجُدالي على موقفه هذا لخلعه الشعب ولخلعته القبيلة ، جلس عبد الله بن ياسين يفكر ويفكر ثم هداه ربه سبحانه وتعالى، فما كان منه إلا أن تعمّق في الصحراء ناحية الجنوب بعيدًا عن الحواضر والمدنية، حتى وصل إلى شمال السنغال ، وهناك وفي شمال السنغال اعتزلهم عبد الله بن ياسين، متنسكًا في جزيرة ، كان من الطبيعي أن يكون في جُدالة بعض الناس خاصّة من الشباب الذين تحرّكت قلوبهم وفطرتهم السوّية لهذا الدين، لكنّ أصحاب المصالح ومراكز القوى في البلاد كانوا يمنعونهم من ذلك، فحين علموا أنهم سيكونون بعيدين عن قومهم، ومن ثَمّ يكونون في مأمن مع شيخهم في أدغال السنغال، تاقت قلوبهم إلى لقياه، فنزلوا من جنوب موريتانيا إلى شمال السنغال، وجلسوا مع الشيخ عبد الله بن ياسين ولم يتجاوز عددهم في بادئ الأمر الخمسة نفر...!! ، وفي خيمته وبصبر وأناة شديدين أخذ الشيخ عبد الله بن ياسين يعلّمهم الإسلام كما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكيف أن الإسلام نظام شامل متكامل ينتظم كل أمور الحياة، وبدأ يعلمهم العقيدة الصحيحة، والجهاد في سبيل الله ، ذاق الرجال معه حلاوة الدين، ثم شعروا أن من واجبهم أن يأتوا بمعارفهم وأقربائهم وذويهم، لينهلوا من هذا المعين، ويتذوقوا حلاوة ما تذوقوه، فذهبوا إلى جُدالة ـ وكانوا خمسة رجال ـ وقد رجع كل منهم برجل فأصبحوا عشرة، ثم زادوا إلى عشرين، وحين ضاقت عليهم الخيمة أقاموا خيمة ثانية فثالثة فرابعة، وبدأ العدد في ازدياد مستمر ، مع كثرة الخيام وازدياد العدد إلى الخمسين فالمائة فالمائة وخمسين فالمائتين، أصبح من الصعب على الشيخ توصيل علمه إلى الجميع، فقسمهم إلى مجموعات صغيرة، وجعل على كل منها واحدًا من النابغين، وهو نفس منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وهكذا أيضًا كان منهج الشيخ عبد الله بن ياسين، حتى بلغ العدد في سنة 440 هـ= 1048 م، بعد أربعة أعوام فقط من بداية دعوته ونزوحه إلى شمال السنغال إلى ألف نفس مسلمة

وفي قبائل صنهاجة المفرّقة والمشتتة توزّع هؤلاء الألف الذين كانوا كما ينبغي أن يكون الرجال، فأخذوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يعلمون الناس الخير ويعرفونهم أمور دينهم، فبدأت جماعتهم تزداد شيئًا فشيئًا، وبدأ الرقم يتخطى حاجز الألف إلى مائتان وألف ثم إلى ثلاثمائة وألف، يزداد التقدم ببطء لكنه تقدم ملموس جدًا ، ولأن المرابطين أو المجاهدين كانوا يتخذون خيامًا على الثغور يحمون فيها ثغور المسلمين، ويجاهدون في سبيل الله، فقد تَسمى الشيخ عبد الله بن ياسين ومن معه ممن كانوا يرابطون في خيام على نهر السنغال بجماعة المرابطين، وعُرفوا في التاريخ بهذا الاسم ، إن من يقرأ عن الشيخ عبد الله بن ياسين والمرابطين الذين كانوا معه قراءة عابرة يظن أنهم جماعة من الناس اعتزلوا قومهم ليعبدوا الله بعيدًا عن ضوضاء العمران ومشاكل الناس فحسب، ولم يكن الأمر كذلك على الإطلاق بل كان هذا الاعتزال جزءًا من خطة كبيرة يتم تنفيذها خطوة بعد خطوة بفهم سليم وعمق في التفكير ودقة في التخطيط وبراعة في التنفيذ ، وعندما وصل عدد المرابطين إلى ألف بعثهم الشيخ إلى أقوامهم ليدعوهم إلى اتباع أحكام الدين الصحيح ، وخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه ، واستدعى أشياخ القبائل ووعظهم ، وحذرهم من عقاب الله ، فلم يلقَ منهم سوى الإعراض والتحدي ، وهنا قرر عبد الله وصحبه اعلان الحرب على اولئك المخالفين ، ثم بدأت غزواتهم بالفعل للقبائل والبلاد ، ففتحوا الكثير منها ، وتسامع بهم فقهاء بعض البلاد الاخرى ، فأرسلوا اليهم ليخلصوهم من حكامهم الطغاة ، وفي عام 451هـ استشهد عبد الله بن ياسين في حرب برغواطة التي كانت على غير ملة الاسلام ، بعد ان مضى اكثر من أحد عشر عامًا في تربية الرجال على الجهاد ، واتسعت دولة المرابطين في عهد الامير يوسف بن تاشفين حتى ضمت السنغال وموريتانيا وبلاد المغرب العربي باكملها وبلاد الأندلس ، إلى أن سقطت في يد الموحدين 538هـ .

أشهر علماء الأندلس

اسم العالم	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
عباس بن فرناس	كان فيلسوفا وشاعرا له علم بالفلك ، وهو اول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وهو اول من حاول اختراق الجو
زرياب	اول من جعل أوتار العود خمسة بعد أن كانت أربعة أوتار ، أدخل على الموسيقى مقامات كثيرة لم تكن معروفة قبله، وادخل فن الموشحات للاندلس ، وأسس أول معهد للموسيقى في العالم في مدينة قرطبة
ابو بكر الزُبيدي	كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وكان اخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر الى علم السير والاخبار
القوطية	كان اهل زمانه باللغة العربية ، يروي الحديث والفقه والاخبار والنوادر ، وكان من اكثر الناس رواية للاشعار وادراكا للآثار وكانت كتب اللغة اكثر ما تُقرأ عليه وتؤخذ عنه
المجريطي	امام الرياضيين في الاندلس وكان اوسعهم احاطة بعلم الافلاك وحركات النجوم
ابو القاسم الزهراوي	أعظم جراح في الإسلام ومؤلفاته مترجمة إلى اللاتينية ولغات اخرى
ابن رشد	فيلسوف وفلكي وطبيب ، شرح كتب ارسطو وبسطها ، لكن حرمت كتبه وأحرقت على مرأى ومسمع منه
الشريف الادريسي	برع في الجغرافيا وبرع كذلك في العقاقير والنباتات الطبية
ابن بطوطة	اشهر رحالة عربي، قضى 28 عاما مرتحلا بين اجزاء العالم المعروفة ايامه
ابن البيطار	عالم في النباتات والأعشاب الطبية والصيدلة
ابن البناء المراكشي	برز في الرياضيات والفلك والطب ، وصاحب كتاب تلخيص اعمال الحساب الذي يُعد المرجع الاساسي في علم الحساب في اوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي
ابن العوام الاشبيلي	اهتم بالفلاحة وصنفها علمًا كاملاً